

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الرقم التسلسلي: .....

### عنوان المذكرة

تجليات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية  
رباعية-مولود معمري- الروائية ( أنموذجا )

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : نقد عربي معاصر

تحت إشراف:

إعداد الطالبة:

د / محمد الصالح خرفي

نوال باها

### لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الرتبة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة جيجل	أستاذ محاضر	د / فيصل لحممر
مشرفا ومقررا	جامعة جيجل	أستاذ التعليم العالي	أ.د / محمد الصالح خرفي
مناقشا	جامعة جيجل	أستاذ مساعد "أ"	أ / عبد الله عباسي

السنة الجامعية: 2018/2017



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل -



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

الرقم التسلسلي: .....

### عنوان المذكرة

تجليات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية  
رباعية-مولود معمري- الروائية ( أنموذجا )

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : نقد عربي معاصر

تحت إشراف:

إعداد الطالبة:

د / محمد الصالح خرفي

نوال باها

### لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الرتبة العلمية	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة جيجل	أستاذ محاضر	د / فيصل لحممر
مشرفا ومقررا	جامعة جيجل	أستاذ التعليم العالي	أ.د / محمد الصالح خرفي
مناقشا	جامعة جيجل	أستاذ مساعد "أ"	أ / عبد الله عباسي

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شكر

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه و لعظيم سلطانه و الصلاة و السلام

على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله النبي الأمي أما بعد

فإننا نتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد

الصالح خرفي الذي لم يبخل علينا بقبول الإشراف على هذا البحث،

وعلى حسن نصحه و توجيهه لاستكمال البحث و إتمامهوننتقدم بفائق

الشكر و الامتنان أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا

البحث المتواضع و إثرائه بملاحظاتهم القيمة و تقويمه بتوجيهاتهم الحكيمة،

و إلى كل من قدم لنا يد العون و المساعدة سواء من قريب أو من بعيد،

إليهم منا أسمى معاني الاحترام و التقدير و العرفان بالجميل.

نوال باها

# مقدمة

## مقدمة

يتميز الأدب الجزائري الحديث عن بقية آداب الدول العربية الأخرى بجملة من الخصائص المركبة والمعقدة والتي تدخلت في تشكيلها عناصر محلية، عربية وفرنسية، انصهرت جميعها لتثمر في النهاية أدبا جزائريا و لتخلق ظاهرة الازدواجية اللغوية التي تفرد بها هذا الأدب عن غيره من الآداب العربية، و قد ارتبطت هذه الظاهرة الفريدة من نوعها بجملة من العوامل التاريخية و الثقافية و الاجتماعية خلفتها بالدرجة الأولى المرحلة الاستعمارية التي عملت على طمس الشخصية الوطنية مما أوجد جيلا من الكتاب الجزائريين يكتبون بلسان و قلم أجنبيين لسد الفراغ الأدبي بالجزائر و للدفاع عن مقومات الأمة المهددة.

غير أنه و في خضم تنامي الروح الوطنية و تطورها ، تولد حقد ضد كل ما يمت بصلة إلى الاستعمار و كان الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية في موقف الاتهام ، فنظر إليه نظرة رفض و إنكار على الرغم من تعبيره عن واقع وطني جزائري و يقودنا هذا الإنكار و الرفض إلى طرح جملة من الأسئلة :

هل الأدب المكتوب باللغة الفرنسية هو أدب جزائري أم فرنسي ؟ إلى أي جهة ينبغي أن ينسب ؟ أيعد

أدبا فرنسيا كما يرى بعضهم نظرا إلى اللغة التي كتب بها ، و إلى الجمهور الذي كان يتوجه إليه؟

و هل تكفي اللغة في هذه الحالة للحصول على الانتماء و ضمانه ؟ أم يعد أدبا جزائريا باعتبار الروح التي

كتب بها كما يقول آخرون ؟ و هل يكفي هنا " الروح " لتحقيق الهوية ؟

هي التساؤلات الأكثر إلحاحا في النقد الأدبي الجزائري و قد أثارَت كما كبيرا من الجدل بين مثقفي الجزائر وميزت

الحديث عن الأدب الجزائري ، و الذي شهد ذات الإشكالية " إشكالية اللغة " التي انبعث منها سؤال الهوية، هوية

الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية و كانت المحور الذي استقطب الصراع الثقافي و البؤرة التي دار حولها الجدل.

و قد برزت هذه الإشكالية و اتضحت ملامحها بعد الاستقلال و طرح موضوع الأدب المكتوب باللغة الفرنسية،

في مقابل الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية، ووجدت الفئة المعربة في هذه الظروف غير الطبيعية و اللغة

المستعارة سببا قويا لتهجينه و الحط من شأنه فأنكرت على هؤلاء الروائيين لجوءهم إلى لغة الآخر و نتاجهم الأدبي ، لأنها تراه أدبا دخيلا نبت في ظروف غير شرعية و قد أبت هذه الفئة إلا أن يكون للجزائر أدبها الخاص في مضامينه و لغته المتناسبتين مع استقلالها .

إن هذه المفارقة التي اتسمت بجدلية مثيرة للانتباه فريدة في الطرح، هي التي دفعتنا لخوض غمار هذا الموضوع الشائك فجاءت هذه الدراسة الموسومة بـ : " تجليات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية - رباعية مولود معمري أنموذجا " لتحاول تتبع تاريخ الرواية الجزائرية عامة و الناطقة باللغة الفرنسية خاصة و الإحاطة بمختلف مضامين هذه الأخيرة من خلال قراءة النصوص الأصلية و استخلاص النتائج منها وخاصة النصوص الروائية التي تم إصدار الأحكام الجاهزة بشأنها دون تكبد عناء دراستها في عمقها ، متأثرين بآراء و أحكام بعض النقاد الفرنسيين الذين لم يكونوا منصفين في حق الكتاب المغاربة إذ جردوهم من اكتساب لمسة فنية أو فكرية و جعلهم مجرد تلاميذ للكتاب الفرنسيين على الرغم من أن هؤلاء كانوا أصحاب ثقافة عربية، أمازيغية ، فرنسية عالية بل منهم من يمتلك موهبة روائية خارقة للعادة.

إن نقل الباحثين الجزائريين آراء النقاد الفرنسيين دون الرجوع إلى النصوص الأصلية لأولئك الكتاب الناطقين باللغة الفرنسية و الذين قد دافعوا فعلا عن هوية الشعب الجزائري و عن كيانه و عن حقه في صيانة دينه و تعلم لغته و الحفاظ على مقوماته يعتبر ظلم كبير لهم و من هنا كانت عنايتنا بأولئك الكتاب و القراءة لهم لأن نصوصهم لم تنل حظها من التحليل رغم كل ما كتب عنها إذ كان الاهتمام منصبا غالبا على الظروف التاريخية فقط التي أحاطت بها، كما أن غياب النقد المؤسس و الموضوعي جعل هذه التجربة الروائية لا تنال نصيبها من المتابعة و لم تعرف جهدا نقديا يوازي ما قدمته من أعمال أدبية ذات قيمة فنية و يضاهي ما قطعته من أشواط كبيرة و حققته من إنجازات فنية ضخمة لا على المستوى المحلي وحده و لكن على المستوى العالمي كذلك و غياب نقاد و دارسين جزائريين متميزين ينظرون إليها، ويهتمون بها كتجربة أدبية ثقافية بالمعنى العميق ، حققت الكثير للأدب و ثقافة الجزائر و جدية بالبحث و الدرس، إنما بقيت تعاني من فراغ كبير في هذا المجال، لاسيما نصوص



(مولود معمري) الذي عانى من التغييب و الاستبعاد على الرغم من أنه عاش كغيره من الكتاب محنة مزدوجة بين لغته وواقعه.

و لعل هذه هي الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع القائم أساسا على رصد تمظهرات الهوية الوطنية في كتابات الجزائريين الناطقين باللغة الفرنسية و الإجابة عن الإشكالية المطروحة بغية تشكيل تصور عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لنعطيه المنزلة التي يستحقها هوية و انتماء ، كما ينطوي موضوع الدراسة على مسعى آخر يتمثل في إمطة اللثام عن المنجز الأدبي للكاتب (مولود معمري) الذي غيب بطريقة أو بأخرى أو تمت دراسته على هامش دراسات أخرى بصورة عامة أو سطحية أو استنادا لأحكام جاهزة مع إقصاء لتحليل يعنى بالخصوصيات الإبداعية والملكات الفنية لهذا الأديب لاسيما روايته الأخيرة (العبور) التي لم يسبق دراستها من قبل و عليه فقد أخذنا رباعيته : الهضبة المنسية، إغفاءة العادل، الأفيون و العصا، العبور، كعينة عن الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية محاولين الإجابة عن تساؤلات كبرى فيما يخص تجربة (مولود معمري) الروائية: كيف تأثر "معمري" بالثقافة الفرنسية؟ ما نوع الأثر الذي تركته في كتاباته؟ هل ساهم ذلك في تجريده من هويته ككاتب؟ أم أنه أثرى تجربته و العمل الروائي لديه و جعله مرتبطا أكثر بمقوماته الوطنية؟ و لخوض غمار هذه الدراسة، تطلب منا الوقوف على خطة احتوت على مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة فخصص المدخل للحديث عن الرواية الجزائرية ، مفاهيم معرفية (البدايات، الظروف ، الميلاد المزدوج، التفاوت في الظهور، الإزدواج اللغوي...).

أما الفصل الأول فكان للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و انطوى على جزئين: الأول هو الرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة بالفرنسية (الكولونيالية - الثورية)، أما الجزء الثاني فخصص للرواية الجزائرية المعاصرة المكتوبة بالفرنسية (ما بعد الكولونيالية - رواية الأزمة) .

و خصص الفصل الثاني للدراسة التطبيقية ف جاء بعنوان: تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، هذا الأخير الذي تضمن جزئين :

الأول جاء تحت عنوان "الهوية الوطنية و كتاب الرواية المكتوبة بالفرنسية" ، تناول العنصر الأول منه ، مفهوم الهوية ومكوناتها الثقافية، أما العنصر الثاني فقد درس تمثالات الهوية الوطنية في الكتابات الروائية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية .

و الجزء الثاني من هذا الفصل كان عنوانه "صورة الهوية الوطنية من خلال رباعية ( مولود معمري)، تناولنا مقولة الهوية في رباعية (مولود معمري) في العنصر الأول منه، وتضمن العنصر الثاني تشكيلات العناصر السردية داخل الرباعية .

و في خاتمة البحث لخصنا أبرز النقاط التي تناولناها في هذه الدراسة و ضمناها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها .

و قد اعتمدنا في هذه الدراسة منهجين رئيسيين هما: المنهج التاريخي و المنهج الموضوعاتي مع الاستعانة بإجرائي الوصف و التحليل .

و قد استعنا بجملة من المصادر تمثلت في روايات " مولود معمري " : الهضبة المنسية، إغفاءة العادل، الأفيون والعصا، العبور، إلى جانب جملة أخرى من المراجع العربية مثل: عايدة أديب بامية ( تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967 )، سعاد محمد خضر ( الأدب الجزائري المعاصر ) ، يمني العيد ( فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية و تميز الخطاب)، إبراهيم الكيلاني ( أدباء من الجزائر)، عبد الله ركيبي (الفرنكفونية مشرقا و مغربا)، عبد المجيد حنون ( صورة الفرنسي في الرواية المغربية)، محمود قاسم (الأدب العربي المكتوب بالفرنسية)، واسيني الأعرج ( اتجاهات الرواية العربية في الجزائر)، أمين الزاوي ( تكون الإنشاء الروائي في المغرب العربي).

و مجموعة أخرى من المراجع باللغة الأجنبية مثل :

Rabah soukhal (le roman algerien de langue francaise (1950-1990)),  
Wadi Bouzar (Lecture maghrebines), Jean Dejeux (Situation de la

littérature Maghrébine de langue française), Anne Maurel ( La critique littéraire) .

و غيرها كثير من المراجع التي أنارت درب بحثنا و كانت سندا لنا لإيجازه و إتمامه ، وإن كنا لم ندخر جهدا في البحث عن المادة العلمية فإن هناك عدد من الكتب و الدراسات -لاسيما باللغة الأجنبية - لم نخط بفرصة الإطلاع عليها إلا أن الفضول بشأن مضامينها و الأمل في تصفحها مستقبلا مازال قائما .

و في هذا السياق نشير إلى بعض العراقيل و الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز بحثنا من بينها : قلة المراجع التي تتصل بالجانب التطبيقي حول الموضوع و تخدمه بشكل أو بآخر و التي كانت قليلة أو سطحية أو غير ملمة بموضوعنا أو أدينا ، إضافة إلى ضيق الوقت في إنجاز البحث و صعوبة الوقوف على الرباعية كاملة لاسيما روايته الأخيرة ( العبور ) التي لم يتم تناولها من قبل ، يضاف إلى ما تقدم خصوصية هذا البحث المزدوج اللغة و ما تنطوي عليه من صعوبات تتصل خاصة بمسألة الترجمة التي تعد عوائقها كثيرة لا حصر لها ، لكن هذا لم ينف المتعة والفضول و حب اكتشاف الحقيقة أثناء رحلة البحث في أعمال " (مولود معمري) بكلي اللغتين ( العربية والفرنسية) .

إن إثارة هذا الموضوع بالنسبة لنا حول الرواية الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية ما هو في الحقيقة إلا رغبة في غد، وطموح في مستقبل ، و تحديد معالم تسير في ضوئها لأن أي عطاء أدبي و استمرارية نتاجه في حاجة إلى إطار سوسيو ثقافي ينضم إليه يحتضنه و يحفظ له وجوده و مستقبله و يؤمن انتماءه.

و في الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور " محمد الصالح خرفي " على توجيهه و نصحه ، و سعة صدره و صبره و تشجيعه الكبير لنا و نأمل أن نكون قد وفقنا في دراستنا هذه ولا يكون التوفيق إلا من الله عز وجل .

مدخل



## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

و مهما يكن من أمر هذا التأخر فإن هذا النتاج قد جاء في ظروف استثنائية، عانت فيها الجزائر لأكثر من قرن من طمس هويتها الثقافية الوطنية و تشويه لمقوماتها و ذلك للقضاء على الشخصية الوطنية، إذ حورت لغة الإنسان الجزائري و أقصيت من ميادين الحياة، خاصة الأدبية و الفكرية منها.

و في مقابل هذا تأخرت « الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية »<sup>1</sup> بعقدين من الزمن، مقارنة بنظيرتها المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي كانت « في فجر السبعينات بعد رجحان كفة اللغة العربية وميل زمرة من أدبائها إلى إنشاء نصوص قصصية باللسان العربي »<sup>2</sup> بعد أن اكتملت الشروط ، و توافرت الظروف و الوسائل الملائمة لظهورها و ممارستها وهذا بعد أن حبست و قيدت و منعت من الانتشار بسبب الاستعمار الفرنسي .

ولا ريب أنه قد كان لهذا التفاوت في الظهور وازدواج الميلاد الأثر الكبير على مسار التجربة الروائية الجزائرية « لكنه انشطر بين اللغتين واتخذ اتجاهين وكل اتجاه يناقض الآخر و تفصل بينهما اللغة و مجموعة من المرجعيات الثقافية والأدبية المختلفة والمذاهب الفكرية المتناقضة و التي يقوم عليها كل اتجاه ، و إن كانا يصوران واقع الجزائر نفسه و همها و تجمعهما الروح الجزائرية الأصيلة »<sup>3</sup>.

من هنا نجد من الضروري إلقاء نظرة سريعة على الظروف التي كانت وراء هذا الميلاد المزدوج، واستحضار العوامل التي أدت بالكتاب إلى استعارة لغة المستعمر محاولة منا لإيجاد بعض الأجوبة لأسئلة تهمين على الساحة الأدبية والثقافية الجزائرية، أهمها السؤال الإشكالي الهام المتعلق بالكتاب الجزائري الذي يكتب باللغة الفرنسية، و الذي كان في الحقيقة مشتتا بين الكتابة والسعي خلف اللغة الفرنسية لكسر الصمت والمشاركة

---

<sup>1</sup> -واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، د ط , المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 90 .

<sup>2</sup> - فوزي الزملي، شعرية الرواية العربية، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها، د ط، مؤسسة القدس الثقافية، دمشق، سوريا، 2007، ص 150 .

<sup>3</sup> - عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1967/1925، ص 5.

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

الفعلية والفاعلة علي الساحة الأدبية، في تلك المرحلة العvisية من الفترة الاستعمارية التي لم يكن للجزائر فيها أي روائي أو أديب يذكر وبين تحديات إعادة بناء الذات الجزائرية و تكوين كيانها الثقافي الخاص المختلف. خاصة وأن كثيرا من النقاد والدارسين- خاصة الجزائريين كانوا يرون بأن اللغة وكما يشير إليه " عبد الله ركيبي" « أداة الأدب الأساسية هي التي تحدد هويته وانتماؤه الخاص لجنس أو وطن أو تاريخ أو جغرافيا أو غير ذلك<sup>1</sup>». و تجدر الإشارة إلى ملاحظة هامة، أن النخبة المثقفة و الناطقة باللغة الفرنسية لم تكن لتظهر أو تعرف النبوغ إلا بعد أن عانت الجزائر ويلات الاستعمار الذي عمل على محو شخصيتها الوطنية محوا كاملا وطمس معالم ثقافتها الأصلية، منذ أن وطئ الأرض الجزائرية<sup>2</sup>، وذلك وفق مخطط محكم قائم على مجموعة من الممارسات اللإنسانية، أخطرها العنف الثقافي واللغوي الذي مارسه على الشعب الجزائري، و قد انتهج قبلها سياسة « قهر الأهالي و تجويعهم و تشريدهم بقوة السلاح»<sup>3</sup> ليسهل عليه بسط نفوذه وسيطرته ثم عملوا على محاربة اللغة العربية بالقضاء على معظم الكتابات القرآنية والزوايا المنتشرة في جميع أنحاء البلاد التي كان يتعلم فيها النشء ثقافته العربية الإسلامية» فلا يجهل الاستعمار أن العلم سيف قاطع فإذا تسلح به، الجزائري أمكنه أن يقاومه فسعى حينئذ في تجهيل الأمة الجزائرية<sup>4</sup> وحصص استعمالها في المناسبات الدينية الضيقة، فألغى بذلك الاستعمار الفرنسي مشروع نخضة تعليمية كاملة دون أن يقدم بديلا عنها لأنه هدفه الأساسي هو تجهيل الشعب الجزائري و توفير الحد الأدنى من التعليم له كما أنها الحقيقة التي يجب التأكيد عليها كما يقول عبد المجيد حنون « لأن هناك من ما يزال يعتقد بأن فرنسا كانت تقوم " ببعثة حضارية" للجزائر و أن الجزائريين قد استفادوا من هذه البعثة»<sup>5</sup>، فالقليل من التعليم الذي كانت تقدمه المدارس الفرنسية وتشرف عليه لا يمت

<sup>1</sup> - عبد الله ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، د ط، والكتاب العربي، الجزائر، د ت، ص 93.

<sup>2</sup> - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 387.

<sup>3</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، د ط، المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص 22.

<sup>4</sup> - محمد الطمار، المرجع نفسه، ص 370.

<sup>5</sup> - ينظر: عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 31.

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

بأي صلة للمجتمع الجزائري، ولا يتعدى تلقين اللغة الفرنسية وثقافتها وأنه كان « تعليما فرنسيا بحتا »<sup>1</sup> يسعى إلى جعل الجزائر جزءا من فرنسا و قد اقتصر على فئة قليلة جدا من الجزائريين ف « أبواب المدارس الفرنسية لم تكن مفتوحة كثيرا أمام الجزائريين، فالأولوية تعطى للأوروبيين وكان على الجزائريين أن يكافحوا في سبيل دخول المدرسة الفرنسية التي بات ارتيادها ضرورة »<sup>2</sup> الجزائري في نظر المستعمر « غير قابل للتعليم »<sup>2</sup> و لم يكن الهدف من « تعليم الجزائريين الاستجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم والعرفان وإنما تقريهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى يسهل ابتلاعهم و إدماجهم »<sup>3</sup> ، فالمستعمر الفرنسي لا يكتفي أبدا ب « استغلال وامتصاص العرق والدم ولكنه يعمل على ابتلاع شخصية الشعوب التي احتلها، يبتلع ثقافتها، تاريخها، لغتها، كيافها وذاتيتها »<sup>4</sup> .

و هذا ما ارتكبه فعلا اتجاه الشخصية الوطنية « التي قام بسلخها عن جذورها الحضارية كلها بعزلها عن سائر أجزاء الوطن العربي »<sup>5</sup> ، و إحلال اللغة و الثقافة الفرنسية محلها حتى يقتلوا اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائهم في الجزائر<sup>6</sup> فالقضاء على لغة الشعب يعني القضاء على كيانه، و من ثم استباحة أراضيه و فرض الهيمنة الاستعمارية على كل المستويات و الأصعدة الحساسة .

هكذا بدأت مأساة الشعب الجزائري ، ومأساة لغته ومأساة ثقافته، « أضاعوا له لغته التي تشكل جزءا من مقوماته التاريخية والحضارية »<sup>7</sup> ، و مع الإستعماري الذي أقر به بعض الفرنسيين أنفسهم من هؤلاء " أرنول فان جيناب " الذي قال في هذا « أننا قد حضرنا الجزائر جزئيا من الوجهة المادية ولكننا لم نفعل شيئا تقريبا بخصوص

<sup>1</sup> - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 370 .

<sup>2</sup> - عبد المجيد حنون، المرجع نفسه، ص 31.

<sup>3</sup> - محمد الطمار، المرجع نفسه ، ص 371 .

<sup>4</sup> - عبد الله ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا ، ص 18 .

<sup>5</sup> - عبد المجيد حنون، المرجع نفسه ، ص 32 .

<sup>6</sup> - ينظر: محمد الطمار، المرجع نفسه ، ص 387.

<sup>7</sup> - واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 46.



## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

الناحية العقلية التي هي أكثر أهمية»<sup>1</sup> ويضيف آخر قائلا: « أردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين شعبا من الأميين، وقد كان الأمر يهون لو أننا لم نحتم عليهم استعمال لغتنا (...) ولكن متطلبات النظم الاستعمارية أن يحاول سد طريق التاريخ على المستعمرين (...)» ولما كانت المطالب القومية في أوروبا تعتمد دائما على وحدة اللغة، فقد حرم على المستعمرين استعمال لغتهم بالذات»<sup>2</sup> وهذا المنع يعتبر نقطة استيرتاجية في كل مخططاته الاستيطانية لمعرفته بأهمية اللغة في وجدان الشعوب عامة .

و قد لخص (أبير ميمي) الوضع الذي آل إليه الإنسان المغربي بصفة عامة بعدما انتزعت منه أراضيه وسلبت منه لغته بقوله : « لقد انتزع من ماضيه و مستقبله، تقاليدته تحتضر، وضاع أمله في تكوين ثقافة جديدة، إنه لا يمتلك شيئا ولم يعد شيئا يذكر ولا شيئا، أصبح المغربي لا شيء بعد ما حل به الاستعمار الذي جاء لتمدنه وتحضره»<sup>3</sup> وهكذا استطاعت فرنسا بسياساتها الاستدمارية ووسائلها القمعية أن تقدم للعالم صورة لا مثيل لها في التاريخ البشري الحديث اقتلاع الإنسان من جذوره، وتجهيله ، و جعله لاشيء في نظرها . و السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو :هل استطاع المستعمر القضاء تماما على الإنسان الجزائري ؟ هل تمكن من محو شخصيته محو نهائيا؟ هل فقد كل ارتباط بتاريخه و مقوماته؟

في ظل هذه الظروف الاستعمارية الصعبة من تاريخ الأمة، ظهرت مجموعة من الأدباء المتمكنين من اللغة الفرنسية وكانت لديهم الرغبة الكبيرة للكتابة، وحين أخذت القلم و « التعبير عما يجيش في صدرها (...) لم تستطع التعبير سوى بالفرنسية فعبرت مضطرة بها»<sup>4</sup> ، و كانت اللغة الفرنسية وسيلتها الوحيدة « ليصبح أمام مستعمره الذي نفى وجوده أمام الناس كلهم، أنا هنا، أنا موجود، أنا لم أتلاش»<sup>5</sup> و قد تعرف هؤلاء على فن الرواية

<sup>1</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ص 31.

<sup>2</sup> - مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، دراسة، ط2، دار الآمل، تيزي وزو، الجزائر، 2008.

<sup>3</sup> - عبد المجيد حنون، المرجع نفسه ، ص 38.

<sup>4</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ص 93.

<sup>5</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ص 54.

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

في هذه المرحلة التي « لم تعد الأساليب التقليدية قادرة على التعبير عن هموم ومتطلبات جديدة، فالواقع المعقد والذي ازداد تعقدا أكثر، فأكثر كان فوق قدرة هذه الأساليب التعبيرية »<sup>1</sup>، وكان لابد للكاتب الجزائري أن يأخذ بشكل جديد للتعبير، يمكنه من الاتصال بجمهور جديد و مختلف غير ذاك الذي تعود السكونية والحياة الريفية<sup>2</sup> وكان الشكل الجديد متمثلا في فن الرواية، الذي انتقل إليه بفضل إتقانه للغة الفرنسية، اطلاعه على الرواية الفرنسية واحتكاكه المباشر بالمتقن والروائي الفرنسي، الذي كانت تربطه به « علاقات إنسانية أخوية على المستوى الثقافي والإبداع الأدبي »<sup>3</sup>، و « يعرفون بعضهم بعضا معرفة شخصية ولهم صداقات حميمة أحيانا، وزمالة في العمل، وكانت لهم لقاءات ومناقشات أدبية وكانوا يحررون أو ينشرون مقالات و إبداعات في العديد من الصحف والمجلات جنبا إلى جنب »<sup>4</sup>.

و من أمثلة هذا التواصل الإنساني و الأدبي علاقة الكاتب الجزائري "مولود فرعون" بالكاتب الفرنسي (البير كامو)، فقد كان "فرعون" يرغب في إتقان فن الرواية و ذلك للتحدث عن مواطنيه، عن الذات الجزائرية، عن فكرها ورؤيتها وثقافتها وظروفها فهو الفن الجدير بإخراجها من قاع النسيان إلى سطح الوجود<sup>5</sup> فقد أدرك الكاتب الجزائري أن فن الرواية ظاهرة حضارية ومنه تشكل لديه القصد الواعي لممارسة هذا الفن وجعله منه أكثر من مجرد وسيلة أدبية، يسعى من خلالها إلى تأصيل خطابه الخاص والتعبير عن خصوصيته واختلافه عن المستعمر فكريا وثقافيا بعد أن شعر بعمق الفجوة الكائنة بينه وبين هذا الأخير .

<sup>1</sup> - واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 364.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 63.

<sup>3</sup> - يوسف لطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، ص 46.

<sup>4</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 154.

<sup>5</sup> - Mouloud Feraoun, Lettres à ses amis, Edition ENAG, Alger ,2009. p63.

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

فظهرت بذلك مجموعة من الأعمال الأدبية و التي تتحدث صراحة « عن أمم المغرب باعتبارها حقائق واقعة، ليس الاستعمار الأوروبي إلا حادثة عارضة فاجعة في تاريخها وفي حياتها »<sup>1</sup> و استطاع ذلك الرعيل الأول من الكتاب أن يقتحم الساحة الأدبية، و ينتزع له مكانة فيها كانت إلى ذلك الوقت حكرا على المستعمر الفرنسي الذي كان ينفي عن الجزائري كل إبداع و خلق بل وكان « ينكر عليه الوجود والذاتية والشخصية وكان ينكر عليه من باب أولي كل قيمة »<sup>2</sup>.

و لقد تزامن ظهور هذه الأعمال الأدبية مع ظهور الحركة الوطنية التي استطاعت إحياء الشعور الوطني و بث الوعي في نفوس الجزائريين لمواجهة الاستعمار الفرنسي و استعادة أرضه و حقوقه منه لاسيما بعد أحداث الثامن التي كانت منعظفا حاسما في حياة الشعب الجزائري و التي غيرت من مواقفهم و رؤيتهم لذواتهم و للآخر و لقد صاحب هذه الفترة بالذات تحرك ثقافي واضح ، إذ لم يتوان الكتاب الجزائريين لتجسيد حضورهم النضالي وتفاعلهم مع هذه المرحلة التاريخية الخطيرة من حياة الجزائر، وأنهم لم يتخلفوا عن الركب، بل كانوا في صدارته خاصة وأن الكثير منهم عاشوا ا حوادث الثامن ماي و كانوا شهودا عليها<sup>3</sup> و هي أحداث نستطيع القول بأنها طبعت « الجيل الذي تربى في المدرسة الفرنسية بطابع لا يحى أثره »<sup>4</sup> و وجهت مساره نحو الكفاح الوطني والفكري و بدء مرحلة جديدة على الصعيد الاجتماعي والفكري ، فضم الكتاب الجزائريين صوتهم إلى صوت الشعب، و حملوا القلم لنشر الوعي الوطني و المشاركة في طرد الاستعمار<sup>5</sup> و قدموا نتاجا أدبيا لم يكن

<sup>1</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 94.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه ، ص 53 .

<sup>4</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية ، ص 53 .

<sup>5</sup> - المرجع نفسه ، ص 56.

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

إلا تأكيداً لحقيقة تفاعلهم الأدبي مع ما مرت به الجزائر في تلك المرحلة<sup>1</sup> مرحلة الاستعمار وولوج عالم الرواية والبحث من خلاله ولأول مرة عن الهوية المفقودة.

إن أول ما قام به الروائي الجزائري الناطق باللغة الفرنسية هو تقديم مجتمعه الجزائري من من منظور جديد مغاير تماماً لما جاء و كتب من طرف المستوطنين الفرنسيين، فلقد التزم الكاتب الجزائري بقضية وطنه التزاماً وطنياً أخلاقياً وفكرياً، و جعل من الكتابة أداة نضال وكفاح ضد الاستعمار، وعكست تناقضات العهد الكولونيالي كلها<sup>2</sup> حيث عرت واقع البؤس و الفقر و الجهل الذي تعيشه البلاد آنذاك في محاولة للإجابة عن سؤال مهم من المسؤولين عن كل هذا البؤس والفقر<sup>3</sup> ووجهت أصابع الاتهام بطبيعة الحال للمستعمر الفرنسي وعملت على فضح وحشيته و طغيانه ، و ممارساته اللاإنسانية التي عانت منها الجزائر لفترة طويلة من الزمن.

و يمكننا القول إن هذه الحركة الأدبية الجديدة كانت الداعم الأساسي لبلورة الوعي الوطني ونشر الحس الثوري الذي يدعو إلى الاستقلال و التحرر ، وكان من واجب هذه الرواية إذا أن تبادر إلى عكس رؤية واضحة عن واقع الجزائر وفق منظور أوسع يجسد القيم الحقيقية للجزائر و عاداتها و تقاليدها و كل ما يتعلق بثقافتها الأصيلة لأن القيم والحقائق المعترف بها حتى الآن « هي الحقائق والقيم التي تخدم الاستعمار »<sup>4</sup>.

و أصبح من أهم مهام هذه الرواية هو تصحيح « هذا الوضع على الأقل داخل نطاقها وتقييم هذا العالم على قدميه من جديد، بعد أن كان يسير منكفئاً على رأسه، فهي تصور حياة الناس في المغرب باعتبارها الحقيقة الجوهرية، والاستعمار باعتباره حادثة عرضية وشدوذ عابر »<sup>5</sup> و بالتالي مواجهة المستعمر باللغة التي يفهمها .

<sup>1</sup> - وجيه فارس، من دلالات تحولات لغة النص الروائي، مجلة اللغة والأدب، العدد 15 ، أبريل 2001 ، الجزائر، ص 211 .

<sup>2</sup> - واسني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 365 .

<sup>3</sup> - رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، ط 1 ، دار الشروق، عمان، الأردن، 2003، ص 36 .

<sup>4</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 94.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص ن.

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

فهؤلاء الروائيون قد أرسوا قواعد « النزعة الاحتجاجية التي عرف بها الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية في فترة الخمسينات، لتتحول مع الوقت إلى نزعة نضالية ثورية (..) في توافق مع الأحداث السياسية، التي تطورت بداية من سنة 1954 إلى كفاح مسلح دام سبع سنوات ونصف»<sup>1</sup>.

و لا نستغرب إذا موقف الكتاب الواعي للوضع و للواقع الجزائري ، لأن الكاتب الجزائري هو أحد أفراد الشعب فقد « تربي وترعرع في أوساط شعبية عايش الوطن عن قرب و أنه كتب عنها بعد أن خبرها وعانى منها كغيره من مواطنيه، فأدب الأمة الأصيل لا ينبع إلا من قلب أبنائها الحقيقيين هؤلاء الذين يعرفون أفرح و أحزان الشعب معرفة الإنسان الذي قاسى من وطأة الاستعمار إلى درجة فجرت في نفسه ثورة الرجل الأبي»<sup>2</sup>.

إن أعمال هؤلاء الكتاب كانت من أهم العوامل التي كونت الشخصية الجزائرية، وأسهمت في نضجها فلقد أصبحت الفئة المثقفة أكثر قناعة وتصميماً على إخراج الجزائر من مأزق الاستعمار وهذا ما يوضحه "مولود معمري" في قوله: « خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين ف شعرنا على إثرها بتهميب وابتهاج أن خروجنا من المأزق ممكن، فخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع»<sup>3</sup>. فكلهم التفوا حول هدف واحد و هو استعادة الذات و الهوية عبر « تجسيد معطيات لحظة تاريخية»<sup>4</sup>.

لقد كان همّ هذه الأعمال التعبير عن « رؤية معينة للخروج من حالة سلبية»<sup>5</sup> ، وترسيخ الثقة بالهوية الجزائرية و الاعتزاز بالانتماء إليها .

و مارس الروائي الجزائري حقه في الكتابة في مجال فن الرواية بفاعلية كبيرة، خارقاً بذلك كل الحدود التي رسمها المستعمر بل جعل لغة هذا الأخير قوة مضادة له ، فقدم روايات ذات مستوى فني أدبي عالمي « لفتت أنظار

<sup>1</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 108 .

<sup>2</sup> - عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ص 5.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 25 .

<sup>4</sup> - رزان محمود إبراهيم ، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، ص 33 .

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 20 .

## مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

الشعوب والعالم إلى القضية الوطنية والكفاح التحرري» الذي قرر الشعب الجزائري خوضه ضد المحتل و « كان للرواية النصيب الأوفر في هذه العملية »<sup>1</sup> و يقول " عبد المجيد حنون" في هذا الشأن أن الكاتب الجزائري الذي تمكن من فن الرواية وفرض قلمه « في ميدان الأدب اتخذ مطية لكشف السر (..) عن المشكلة الأساسية، مشكلة الاستعمار»<sup>2</sup>، والتعبير بعمق و صدق « عن مأساة مجتمع متأزم »<sup>3</sup> .

فمعظم الأعمال التي برزت في هذه المرحلة كانت ذات نزعة وطنية نابغة من صلب الثورة التحريرية و قريبة في من مطالب الشعب و آماله.

فاستعارتها للغة المستعمر لم يجعلها تتنكر للذات الجزائرية، بل كان « إثبات الذات أهم مشكلة تطرق لها الأدباء والكاتب المغاربة المفرنسو اللسان ونسبة كبيرة من الأعمال الأدبية الفرنسية اللسان ركزت على أنية وأصالة المغرب العربي»<sup>4</sup> .

لقد كانوا الأوائل في الإعلان عن الأهداف الوطنية المتمثلة في حق الجزائر في استعادة حريتها كما لفتوا أنظار العالم إليهم بهذا الأدب الذي أخذ أبعادا غير متوقعة و سطر أهدافا لا يجيد عنها و شكل خصائصه المميزة له بنفسه ، إذ يقول أحد النقاد الفرنسيين :

« أدب أصيل قد ولد، ويسهل التبصر فيه أسلوب الكشف و الاحتجاج ، وأنه قريبا سيكون الأدب الثوري »  
قال:

« Une littérature original était née on devait, S'apercevoir assez vite

<sup>1</sup> - عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 53 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 93 .

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ن .

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص 56 .

مدخل:.....في الرواية الجزائرية (مفاهيم معرفية)

Qu'il s'agissait d'une littérature de dévoilement et de contestation Et  
bientôt d'une littérature nationale du combat »<sup>1</sup>

و لا شك أن ميلاد هذا الأدب قد أنهى بذلك مرحلة الصمت الطويلة التي ألفتها الجزائر منذ احتلالها و منحت

كتابه الفرصة لتأدية رسالتهم اتجاه الشعب و الوطن كما ينبغي.

---

<sup>1</sup> - Ahmed Boualili, lexicologique et pragmatique de l'oeuvre romanesque de Tahar Djaout, mémoire de magister, sous direction Abbes Fara Yasmine, Alger, 2003, 2004, P9.

# الفصل الأول

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية



### أولاً- الرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة الفرنسية

لا يمكن الحديث بأي حال من الأحوال عن الرواية الجزائرية عامة و الرواية الناطقة باللغة الفرنسية خاصة دون تناول الوضع الاجتماعي و السياسي للشعب الجزائري، فهذا الفن الأدبي كغيره من الفنون الأخرى لا يظهر من العدم، و إنما له جذور يمتد إليها و تربة ينمو فيها و يكبر و بقدر خصوبة هذه التربة فإنه ينضج و يتطور و يستقي خصائصه و مميزاته منها.

### |- الرواية الكولونيلية

إننا في حديثنا عن تاريخ الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية ، لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال التاريخ النضالي للشعب الجزائري ، على الرغم من أن استعراض هذا الأخير يعتبر أمر في غاية الأهمية و الصعوبة في نفس الوقت لتراكم الأحداث التاريخية و تداخلها، إضافة إلى انعدام التدوين الدقيق لتلك الأحداث التاريخية و عدم تحليلها لحد الآن.

و يمكن و نحن بصدد الحديث عن تاريخنا النضالي أن نتحدث عن فترتين أساسيتين هما: فترة الإستقلال و فترة ما بعد الإستقلال و قد عرفت الفترة الأولى شكلين من أشكال مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر الفرنسي أحدهما سياسي و الثاني مسلح، و يبدأ النشاط السياسي السلمي مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي لأرض الجزائر بتكوين " حمدان خوجة " ما يمكن أن يعد أول حزب وطني يعرف بلجنة المغاربة<sup>1</sup> و قد نشطت الحركة السياسية وتعددت الأحزاب في النصف الأول من القرن العشرين على الخصوص متخذة التيارات الثلاثة الآتية: الأول : تيار المساواة و الإدماج، أما التيار التيار الثاني فهو استقلالي و قد برز بعد الحرب العالمية الأولى ممثلاً في

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930 دار الآداب، بيروت، 1969، ص 35.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

نجم شمال إفريقيا الذي ظهر في باريس عام 1927 ضم البوليتاريا المهاجرة و وضع هذا الحزب لنفسه شعار الاستقلال الوطني والإصلاح الزراعي<sup>1</sup>.

بينما التيار الثالث فقد كان إصلاحيا اجتماعيا و يتمثل في جمعية العلماء المسلمين التي شكلت سنة 1931 التي كان شعارها " الإسلام ديننا، و العربية لغتنا، و الجزائر وطننا ".

أما فيما يخص المقاومة المسلحة فقد انطلقت منذ احتلال الجزائر و كانت في شكل ثورات متلاحقة نذكر منها ثورة متيجة، مقاومة الأمير عبد القادر، و ثورة الفلاحين 1871 و غيرها من الثورات. و في هذا المقام يمكننا الإشارة إلى أهم المحطات البارزة في تاريخ الشعب الجزائري و يمكن أن نحدد منها محطات ثلاث هي: ثورة الفلاحين (1871 - 1916)، (أحداث 08 ماي 1945)، ثورة نوفمبر (1954-1962)، و تكاد ترتبط الرواية الجزائرية بهذه المحطات الثلاثة و لا يمكن الحديث عن فن الرواية الجزائرية عامة دون تسليط الضوء عليها لأن الرواية ما هي إلا مرآة للواقع و الظروف التي أحاطت بها :

❖ **ثورة الفلاحين (1871-1916):** وقعت هذه الانتفاضة ابتداء من عام 1871، و قد قام بها ملاك الأراضي من الجزائريين الذين سلبتهم السلطات الفرنسية أراضيهم، و الفلاحون البسطاء الذين يرغبون في التخلص من ظلم الإستعمار الفرنسي و قهره و قد تزعم هذه الحركة " أحمد المقراني"<sup>2</sup> و يرتبط تاريخ هذه الثورة بظهور أول بذرة قصصية في الأدب الجزائري و هي " حكاية العشاق في الحب و الاشتياق " لمحمد إبراهيم بن مصطفى و لعل ظهور هذه الرواية - حسب بعض النقاد يعد انعكاسا لتنتائج الحملة الفرنسية على الجزائر.

<sup>1</sup> - عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيوولوجية، ترجمة فيصل عباس مراجعة خليل أحمد، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت، ط 2، 1982، ص 129.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 127.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

❖ أحداث 08 ماي 1945 والتي تعتبر نقطة تحول على كل المستويات السياسية و الاجتماعية والثقافية فلقد حدث وعي سياسي و اجتماعي ثقافي، وكان من نتائج ذلك الوعي على المستوى السياسي و الاجتماعي خروج الشعب الجزائري في مظاهرة سلمية مطالبا بحقوقه ، و إنصاف دمه و قتلاه في الحرب و الوفاء بالوعود المضروبة من قبل فرنسا و هو يساق إلى الحرب العالمية الثانية، فما كان من السلطات الاستعمارية الحاكمة إلا أن تصدت لهذه التظاهرات العزلاء بالفتك و التدمير، حتى بلغ مجموع الشهداء 45 ألف شهيد كان في طليعتهم خيرة أبناء الجزائر من مفكرين و سياسيين<sup>1</sup> ، و بذلك فقد كانت هذه الأحداث إحدى أكبر المذابح في تاريخ الشعوب، يمكن اعتبارها بؤرة ثورية التفت حولها الحركة الوطنية التي كان لها ظهور و نمو مند دخول المستعمر الفرنسي.

❖ أول نوفمبر 1954: التي انصهرت فيها كل الأحزاب و كانت نقطة تحول حقيقية في حياة الشعب الجزائري و في هذه الفترة ظهرت أعمال روائية ممتلئة في: ( الطالب المنكوب) لـ"عبد المجيد الشافعي" 1951، (الحريق) لـ"نور الدين بوجدره" 1957 و بطبيعة الحال فإن هذه الثورة سيحتضنها الأدب لاحقا و يتردد صداها قويا بين سطوره ، إذ تحول الكتابة إلى سلاح آخر من أسلحة المقاومة ضد الوجود الاستعماري الفرنسي . و تجدر الإشارة إلى أن رواية (غادة أم القرى) للشهيد" أحمد رضا حوحو" " المنتمي إلى جمعية المسلمين الجزائريين تعتبر الرواية التأسيسية في الأدب الجزائري في الحقيقة و من كنف هذا التيار الاصلاحى في الحقيقة خرج أحمد رضا حوحو، ولعل إطلاعه على الثقافة الفرنسية ساعده على كتابة الرواية إلى جانب موهبته الفنية و يقول عن تأثره بالأدب الفرنسي « قرأت الفقراء " Les Misérables " لـ " فكتور هيغو"، و كانت نفسه تطالعني من بين السطور تقطر حيرة و ألما، و ما هي إلا فترة حتى اختلطت حيرتي بحيرته، و آلامه بآلامي، فأسرعت إلى

<sup>1</sup> - من مجلة كيف تحررت الجزائر؟ ( بمناسبة الذكرى 25 للثورة) وزارة الإعلام و الثقافة، 1979، ص 58-59 .

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

يراعي أكتب عن الفقراء بالعربية ما كتبه عنهم "هيجو" بالفرنسية و ليس ما أكتبه إليهم بالترجمة، و لم يكن كذلك بالابتكار، وإنما هو مزيج نفسين بائستين تأملت إحداهما مند قرون و تحيرت الأخرى اليوم<sup>1</sup>.

و إضافة إلى هذا الرافد الهام فقد كان لاتصال حوحو بالمشرق و الغرب أثر في تفتح وعيه الوطني و إيمانه بالحرية و السلام للجزائر .

إذن فقد كان أهم ما قدمه "رضا حوحو" للأدب السردي ، (غادة أم القرى) التي ظهرت في الأربعينات من القرن العشرين، يقول " أحمد منور" في مقدمة الطبعة الثانية من قصة غادة أم القرى « و نعتقد أنه - أحمد رضا حوحو - كتب " غادة أم القرى " في بداية الأربعينات، و ربما قبل ذلك بالاستناد إلى المقدمة التي كتبها له السيد أحمد بوشناق المدني و المؤرخة في 1361/12/21 هـ و هو ما يقابل حسب تقديرتنا 20 يناير 1943 م<sup>2</sup>» و بقي السؤال مطروحا حول تصنيف هذا العمل بين القصة و الرواية، و قد فضل "أحمد منور" أن يترك هذا الحكم للدارسين و القراء، و لكنه أشار إلى أنه في حالة اعتبارها رواية فإن ذلك يشهد على ميلاد الرواية الجزائرية في الأربعينات<sup>3</sup> ، و لم يشر "أحمد منور" كما لم يشر كثير من الدارسين إلى (حكاية العشاق) التي ظهرت قبل هذه الفترة بنحو سبعين سنة.

في حين عد "واسيني الأعرج" (غادة أم القرى) أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر و قال عنها إنها ظهرت « كتعبير عن تبلور الوعي الجماهير بالرغم من آفاقها المحدودة<sup>4</sup>» .

<sup>1</sup> - أمين الزاوي، تكون الإنشاء الروائي في المغرب العربي، دراسة، منشورات قصر الثقافة و الفنون، وهران، الجزائر، 1994 ص

10 ، نقلا عن محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو وزارة، الثقافة، الجزائر 1985، ص 11.

<sup>2</sup> - أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 ، 1988، ص2.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 13.

<sup>4</sup> -واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 42، نقلا عن فرانز فانون: معذبو الأرض، تر الدكتور سامي الدروبي، و جمال الأناسي، دار الطليعة، بيروت. 1979 ص 18.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

لقد أردنا الإشارة من خلال تعرضنا للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية قبل الحديث عن نظيرتها الناطقة بالفرنسية إلى تأخر الثقافة العربية في الجزائر بسبب الظروف -التي أسهبتنا في ذكرها - و الذي أوجد تخلفا في اللغة العربية و صعوبة كبيرة في الحصول على أسلوب لغوي روائي و مرن ، قادر على التصوير و التعبير في الأدب الجزائري عامة والقصصي خاصة ( رغم نص رضا حوحو المؤسس )، فطبيعي أن يلجأ الكتاب الجزائريون إلى استخدام الأداة الأجنبية لملء ذلك الفراغ الأدبي الكبير و الذي كان من بين أسبابه نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحية و التربوي الذي اعتمد على الشعر و المقالة في تبليغ رسالته التربوية الإصلاحية و لم يعر اهتماما للرواية كجنس أدبي هام و بالغ التأثير و هذا ما أكد عليه " مخلوف عامر " حينما قال أنه منذ « بروز الحركة الوطنية كانت الأولوية -دوماً- للخطاب السياسي الأيديولوجي، فلم يكن أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يهتمون بالناحية الجمالية، بقدر ما كانوا يهتمون بالدلالة السياسية والاجتماعية في كتاباتهم ، فبقي الشعر في حدود القوالب التقليدية، وتخلّف عن شعر المهجر وتجديداته، ونال فن المقالة الحظّ الأوفر من الكتابة النثرية ثم كان المقال القصصي -فيما بعد- أقصى ما بلغه الفن القصصي قبل حرب التحرير»<sup>1</sup> ، و هو نفس الرأي الذي ذهب إليه " واسيني الأعرج "، وكذا " رمضان حمود " الذي يقول عن الجهود الأدبية لأعضاء وأنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: « إنهم بلغوا الأمانة التي استودعت في أيديهم إلى أيدينا بغير خيانة ولا تقصير لا أكثر و لا أقل والأمانة هي اللغة العربية لا غير »<sup>2</sup>، على الرغم من وجود من يرى عكس ذلك و يؤكد على دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في « تحريك الهمم وشحن القرائح وسريان الأقلام إلى زعماء الحركة الإصلاحية في الجزائر، لأنها جعلت من صحافتها المكتوبة ومن منتدياتها الفكرية ومدارسها التعليمية، المجال الحر

<sup>1</sup> - عامر مخلوف، الرواية والتحويلات في الجزائر، دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة باللغة العربية ، دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2000، ص 10.

<sup>2</sup> - رمضان حمود، عن، جعفر يابوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007، ص 16.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

للتنافس بين الأدباء والمفكرين ومن مختلف المشارب الفكرية والمذاهب والنزعات الأدبية «<sup>1</sup> كما يقول " جعفر يايوش " .

بالرغم إذا من المحاولات الأولى البسيطة في التأليف الروائي باللغة العربية في الجزائر مع رضا حوحو " عادة أم القرى 1947 " وعبد الحميد الشافعي " الطالب المنكوب " ونور الدين بوجدره " الحريق "، إلا أن الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي تعتبر سابقة تاريخيا من حيث الظهور عن مثلتها المكتوبة باللغة العربية التي تأخر ظهورها إلى غاية سبعينيات القرن الماضي على يد "عبد الحميد بن هدوقة" بروايته " ربح الجنوب " سنة 1971، و"الطاهر وطار" برواياته الأولى، خصوصا رواية " اللاز " التي تعتبر علامة فارقة في تاريخ المتن الروائي الجزائري، فعمد الكتاب الناطقون باللغة الفرنسية إلى محاولة سد ذلك الفراغ الأدبي فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسبيا<sup>2</sup>.

فالرواية الكولونيالية إذا قد صدرت عن المدارس المختلطة في الجزائر و التي ضمت النخبة المثقفة التي وعت كل الوعي ما يحدث في بلادها، فاتخذت من اللغة الفرنسية وسيلة للتحدث بلسان الشعب و الدفاع عن حقوقه ووصف معاناته في ظل الإستعمار الفرنسي ، و ذلك من خلال مجموعة من الكتابات تمثلت في أول " قصة قصيدة بعنوان "انتقام الشيخ" لـ"محمد بن رحال" و نشرت عام 1891 أما أول سلسلة من القصص فقد كانت لـ"أحمد بوري" تحت عنوان "مسلمون و مسيحيون" و قد تم نشرها عام 1919<sup>3</sup>.

### ✓ الرواية الإندماجية:

<sup>1</sup> - جعفر يايوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007، ص 17.

<sup>2</sup> - عبد الله ركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الجزائر، م.و.ك، ط1، 1983، ص 249-273.

<sup>3</sup> - ينظر: أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية- دراسة سوسيو نقدية- دار ميم للنشر،الجزائر، ط 1، 2013، ص 36-37.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

يعتبر " جان ديجو " " Jean dejeux " سنة 1920 البداية الفعلية للأدب الجزائري باللغة الفرنسية و ذلك تزامنا مع صدور أول رواية بعنوان " أحمد مصطفى القومي " لصاحبها القايد بن الشريف<sup>1</sup> " ثم تلتها رواية أخرى "زهرة زوجة المنجمي " "لعبد القادر حاج همو" سنة 1925 ، إضافة إلى أعمال أخرى برزت في هذه الفترة ألا و هي : رواية " مأمون بدايات مثل أعلى " " Maamoun l'ébauche d'un idéal " لشكري خوجة الصادرة سنة 1928 و رواية "العلاج أسيروبروسيا " " El Euldj Captif des Barbaresques " سنة 1929 للمؤلف نفسه .

و قد وصف النقاد و الدارسون كتاب هذه المرحلة بالتبعية لفرنسا و التأثير بها والإيمان بمبادئها الزائفة و مثال ذلك رواية " بولنوار الجزائري الشاب " " Nouar le jeune Bou-El algerien " لـ "رابح زناتي" الذي كتب أن: « من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر و الأكثر حضارة المعلمة فمعها تمكن الجزائري من أن يخطو خطوات عملاقة »<sup>2</sup> .

و على رغم من أن هذه الروايات لم تصور الواقع المؤلم الذي عاشه الشعب الجزائري إلا أنها استطاعت أن تصور تفشي بعض الظواهر الإجتماعية السلبية في المجتمع الجزائري نتيجة الاحتكاك بالثقافة الأجنبية مثلما اللتان نجد في ل من رواية "زهرة، امرأة المنجمي " " Zahra, la femme du mineur" و رواية "مأمون مثل أعلى " " Maamoun l'ébauche d'un idéal " . أما الروايات التي صدرت لاحقا فقد اهتمت بتصوير تعدي الإستعمار الفرنسي على القيم العربية و الإسلامية و الأمازيغية ، إضافة بين قيمه الوطنية (العروبة والإسلام و الأمازيغية ) من جهة و القيم الفرنسية الدخيلة التي حاولت فرنسا زرعها في المجتمع الجزائري و قد تجسد ذلك في كل من رواية "مريم بين النخيل" " Myriem dans les palmes " 1934

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها، ص 74 .

<sup>2</sup> - أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية- دراسة سوسيو نقدية- ص 37.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

محمد ولد الشيخ، ورواية " بولنوار الجزائري الشاب " " Bou-El Nouar le jeune algérien "

لرابع زنائي وكذلك رواية " ليلي فتاة جزائرية " " Leila jeune fille d'algerie " لجميلة دباش .

و لقد بدأ البحث عن الذات يتجسد في هذه الروايات ، الذات المشتتة بين الإلتقاء الوطني و التبعية للإدارة الفرنسية .

كان هذا أهم ما تميزت به الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في هذه المرحلة و قد عرفت تغيرا بعد ذلك بسبب بعض الأحداث العالمية كانتهاء الحرب العالمية الثانية و مجازر 08 ماي 1945 و التي غيرت من أفكار ورؤى الكتاب فيما بعد .

### II- الرواية الثورية

كان للحرب العالمية الثانية تأثيرها على الجزائر عامة و على كتابها خاصة ذلك أن الأدب كان دائما مرآة الواقع يقول "مولود فرعون": « خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين ف شعرنا على إثرها بتهميب و ابتهاج أي خروجنا من المأزق ممكن، فخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع »<sup>1</sup> .

و من الروايات التي صدرت في هذه الفترة نذكر رواية بعنوان: "إدريس" " Idriss " لـ"علي الحمامي و رواية "ليبيك" " Lebbeik " لمالك بن نبي .

و تعتبر هذه الروايات اللبنة الأساس لاتجاه جديد في الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية، و ذلك من حيث الموضوعات التي تناولتها كالبؤس والفقر و الحرمان الذي يعيشه الإنسان الجزائري في ظل الاستعمار و زيف مبادئ هذا الأخير . و من هذه الروايات ثلاثية " محمد ديب " " La Grande Maison " ، 1952 ،

<sup>1</sup>- عايذة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 25.



## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

" الحريق " " L'incendie " 1954 و " النول " " Le métier à tisser " 1957، و التي تعتبر

منعظفا حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية .

فقد استخدم "محمد ديب" اللغة الفرنسية سلاحا يكشف زيف ادعاءات فرنسا و زيف مبادئها وكشف حقيقة

ما يتعرض له الشعب الجزائري في ظل الإستعمار الفرنسي و بهذا سمي التيار بأدب المقاومة<sup>1</sup>

و قد سار على درب " ديب " كتاب آخرون أمثال " مولود معمري في روايته " إغفاءة العادل " Le

"sommeil de Juste " 1955 ورواية "نجمة" "Nedjma" الصادرة سنة 1956 التي يتناول فيها

فيها مجازر 08 ماي 1945 التي قمع فيها المستعمر بوحشية المتظاهرين من أجل الحرية و العدالة واعتبرت نوعا

من الكتب التي تسبق الثورات و تخطط لها<sup>2</sup>.

و قد واصل الكتاب الجزائريون الناطقون باللغة الفرنسية وقائع الثورة المسلحة و تقديم نماذج من صور المقاومة

الشعبية و كل ما صاحبها من اعتقال و تعذيب و تهجير مثلما نجد في رواية " الانطباع الأخير " " La

"dernière Impression" الصادرة سنة 1958، " التلميذ والدرس " " L'élève et la leçon "

الصادرة سنة 1960، و " رصيف الأزهار لا يجيب " " Le Quai aux Fleurs ne Répond "

plus " الصادرة سنة 1961 لمالك حداد، و رواية " صيف إفريقي " " Un été Africain " لمحمد

ديب الصادرة سنة 1959.

لقد كانت هذه الأعمال طفرة هامة في تاريخ الأدب الجزائري باللسان الفرنسي و التي شكلت منعظفا حاسما فيه

متجاوزة الصورة النمطية الأولى لتنصهر مع الشعب وتكون مرآة واقعه و ترجمان أفكاره و عواطفه و آماله.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 99.

<sup>2</sup> - ينظر: أمين الزاوي، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالإيديولوجية من 1830 إلى 1982، ماجستير 1983، دمشق، ص 320.

### ثانيا- الرواية الجزائرية المعاصرة المكتوبة بالفرنسية

إن الحصول على الاستقلال و تحقيق السيادة لم يكن يعني نهاية الأدب النضالي بل على العكس تماما فقد ظلت الرواية الجزائرية تصور الثورة التحريرية و تؤرخ لتلك الفترة العصيبة من تاريخ الشعب الجزائري و عليه فقد ظهر اتجاهها جديدا ، صور المجتمع الجزائري بعد الاستقلال .

#### |- الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية ( ما بعد الاستقلال)

من أهم الروايات التي مثلت هذه المرحلة ووصفت بكونها منحازة إلى الثورة و متأثرة بما نجد رواية " أطفال العالم الجديد " " Les enfants du Nouveau Monde " (1962) لآسيا جبار و رواية "الأفيون والعصا " " L'opium et le Bâton " (1965) لـ "مولود معمرى" و رواية " أصابع النهار " " Les Cinq Doigts du Jour " (1967) لحسين بو زاهر و أيضا رواية " أسلاك الحياة الشائكة " " Les Barbelés de L'Existence " لصالح فلاح (1962) و لا شك أن هذه الروايات كلها قد ساهمت في تعميق الوعي الوطني و الإشادة بالثورة التحريرية و توضيحات الشعب في سبيل تحقيق الإستقلال .

و من بين الروايات التي انتقدت الأوضاع السياسية و الإجتماعية بعد الإستقلال و نددت بالتحول عن أهداف الثورة المظفرة نذكر من بين الروايات روايتي " رقصة الملك " " La danse du Roi " (1968) و "إله

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

أرض البربر " " Dieu en Barbarie " ( 1970 ) لمحمد ديب ، و روايتي "التطليق" " La

"Répudiation" (1969) و "ضربة شمس" " "L'insolation" (1972) لرشيد بوجدره.

لقد واصل الكتاب الجزائريون تصوير مخلفات الحقبة الاستعمارية التي كان لها تأثيرا كبيرا على المجتمع الجزائري كما

طرحوا إشكالية الهوية الوطنية من خلال مجموعة من الروايات نذكر منها " ذاكرة الغائب " " Mémoire de

" l'Absent " ( 1974 ) و رواية " المنفى و الحيرة " " L'Exil et le Désarroi " ( 1976 ) لنبييل

فارس،رواية العبور " " La Travesée " (1982) لـ" مولود معمري و " الباحثون عن العظام " Les

"Chercheurs d'Os" للطاهر جاووت (1984).

### II- الرواية الاستعمارية ( رواية الأزمة )

تميزت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و الصادرة أواخر فترة السبعينات و الثمانينات من القرن الماضي

بمسحة إيديولوجية ، حيث عبر من خلالها كل كاتب عن آرائه و توجهاته في ظل تعدد التيارات و صراعاها ،

و قد غلب الخطاب السياسي على فترة التسعينات بسبب أحداث أكتوبر 1988 و ما صاحبها من أعمال

عنف ، أُلقت بالجزائر في بحر من الدماء و لعل أهم الأمثلة التي واكبت تلك الأحداث المريعة و صورت الوقائع

الأليمة نجد روايات "رشيد ميموني" "شرف القبيلة" " L'Honneur de la tribu " (1989) رواية

"حزام الغولة" " "Ceinture de l'ogresse" "1990" و رواية " اللعنة " " La Malédiction "

( 1993 ) .فهذه الروايات قد عايشت الأزمة التي مرت بها الجزائر طوال عشرية كاملة من الزمن و صورت

الفاجعة التي ألمت بها ولو بصورة مستعجلة و سريعة إذ كانت أقرب إلى التصوير الفوتوغرافي و التحقيقات حيث

يقول " مخلوف عامر ":

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

« و لو أن أعمالا كثيرة خانها الحظ فسقطت في التقريرية و التسجيل ما دعا إلى تسميتها الأدب الاستعجالي<sup>1</sup> »

و لكن رغم ذلك فقد كان لهذه النصوص الروائية جمهورها العريض .

و من الروايات التي جسدت أشكال العنف في فترة التسعينيات نذكر رواية " رأس المحنة " "Ras El Mahna"

سنة 1991 لعبد الرحمن الوناس، رواية "تيميمون" "Timimoun" سنة 1994 لرشيد بوجدره و روايتي

ياسمينه خضرا " خرفان المولى " "Les agneaux du seigneur" سنة 1998 و " بماذا تحلم الذئاب "

"A Quoi Rêvent les Loups" سنة 1999.

إن تلك النصوص الروائية التي صورت العشرية السوداء بصورة استعجالية قد أعطت أغلبها الأولوية للمضمون

على حساب البناء الفني ، لكنها تعتبر في الحقيقة طرحا و رؤية جديدة أفرزتها تلك الحقبة السوداء من تاريخ

الجزائر .

كان الفن الروائي الجزائري إذا من أهم مكونات المشهد الثقافي الأدبي طرح نفسه كتجربة فنية ذات طبيعة خاصة

انفردت بمكانة هامة و مؤثرة بين الفنون الأدبية الأخرى فكانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أهم حدث

أدبي ثقافي يتحقق للجزائر ملء الفراغ الأدبي الثقافي الذي عانت منه أثناء الاحتلال و الثورة التحريرية و ما بعدها.

و تمكن بذلك الرعييل الأول من الأدباء الجزائريين - كما سبق القول - مثل "مولود فرعون ، مولود معمري ، محمد

ديب ، كاتب ياسين ، مالك حداد ، آسيا جبار" و غيرهم من تحقيق تجربة كتابية ذات أفق فني خاص ووعي

إبداعي مغاير - لاشك - عن التجربة الفرنسية و مستقل عنها ، فلقد كان مضمون هذا الأدب وطينا في أغلبه،

<sup>1</sup> - عامر مخلوف ، الواقع و المشهد الأدبي - نهاية قرن و بداية قرن، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2011، ص 12.

## الفصل الأول:.....الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

### الفرنسية

مضادا للاستعمار في الحملة و يتصف بالنضالية وبالواقعية و قلما التجأ إلى المثالية الحاملة<sup>1</sup> لا لشيء إلا لأنه كان يعري الواقع الأليم للشعب و يصفه بكل جزئياته و تفاصيله في ظل الوجود الاستعماري الغاشم .

---

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله ، أفكار جامحة ، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 ، ص4 .

# الفصل الثاني

تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية  
المكتوبة بالفرنسية

## أولا- الهوية الوطنية و كتاب الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية

### أ- مفهوم الهوية و مكوناتها الثقافية

يعتبر مفهوم الهوية مفهوما حديثا و لذا فهو يتميز بالغموض و الإبهام و تعدد معانيه و هذا لأنه مفهوم حديث و قد تبلورت فكرة الهوية في خمسينات القرن الماضي في الولايات المتحدة، و للهوية بعدا اجتماعيا لأنها نتاج تفاعل الفرد مع محيطه الإجتماعي و هي تتيح للفرد التعرف على نفسه داخل مجتمعه كما تمكن هذا الأخير من التعرف عليه .

### أ-1- مفهوم الهوية

#### أ-1-1- المفهوم اللغوي

الهوية في اللغة مأخوذة من "هو..هو" بمعنى أنها جوهر الشيء و حقيقته، لذا نجد أن ( الجرجاني ) في كتابه "التعريفات" يقول عنها « بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب»<sup>1</sup>.

#### أ-1-2- المفهوم الاصطلاحي

جاء في كتاب "تلخيص ما بعد الطبيعة" لابن رشد «إن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود و هي مشتقة من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان»<sup>2</sup> فهوية الإنسان هي جوهره و حقيقته و ثوابته وتجمع الهوية ثلاثة عناصر أساسية هي: العقيدة و اللسان و التراث الثقافي الضارب في التاريخ.

<sup>1</sup>- الجرجاني الشريف: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1983، نسخة رقمية مطابقة للمطبوع، اطلع عليه بتاريخ 2018/03/19، الرابط: <http://shamela.ws/index/book/73121983> ، 14:30 سا .

<sup>2</sup>- ينظر: ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس، تحقيق عثمان أمين، القاهرة - مصر، 1958، ص 11

## 1-2- خصائص الهوية :

تميز الهوية بجملة من العناصر تتمثل أساسا في العناصر المادية الفيزيائية المتمثلة في الأسماء و الملابس و السمات الفيزيولوجية ، والعناصر التاريخية المتمثلة في الأصول ، العقائد و العادات و التقاليد و في عناصر ثقافية تبرز في الأديان و الرموز الثقافية، أشكال التعبير المختلفة ، إضافة إلى عناصر نفسية إجتماعية كالكفاءة و نمط السلوك و القدرة على التكيف<sup>1</sup> .

## 1-3- المكونات الثقافية للهوية

لاشك أن الهوية مختلفة عن الثقافة داخل المجتمع فهذا الأخير يتميز بما عن غيره من المجتمعات الأخرى و على الرغم من وجود تمايز في بعض المكونات الثقافية المحلية إلا انه ثمة ذاتية عامة تشكل الهوية الوطنية لأي مجتمع . أما الثقافة فلا يشترط فيها أن تكون واحدة فقد تنوع داخل المجتمع الواحد و تختلف انطلاقا من الرؤية الخاصة لكل فئة ، لكنه ينبغي أن تلتف حول ذات الأهداف و النظرة الواحدة للمستقبل ، و هذا ما يمكن تسميته بـ " الهوية الثقافية الوطنية أو القومية " ، حيث تتداخل الهوية العامة بالثقافة الجزئية، لتشكل ثقافة كلية للمجتمع الواحد. و يجتمع بذلك في مفهوم الثقافة الواحدة الذاتي و الموضوعي، الفردي و العام<sup>2</sup> . و إذا كانت الهوية تتميز بالموضوعية و الثبات و البطء، فإن الثقافة تتميز بالذاتية و النسبية و سرعة التطور، على هذا الأساس فإن الثقافة تشكل الهوية بصورتها المتجددة التي تنمو، كما تتضمن الثقافة بهذا المعنى الرؤية العامة للأمة، حيث تحدد فيها تصورهما للمستقبل<sup>3</sup> .

"فالهوية الوطنية أو القومية عناصر و مكونات جوهرية، يتصف بعضها بالثبات والنسبية و يتميز بعضها بالقابلية للتطور و التحول عبر الإضافات الجديدة للأفراد، و يمكن القول أن المكونات الجوهرية التي تنتمي إلى حقل الهوية

<sup>1</sup> - شيهب عادل: مقال بعنوان ( الثقافة و الهوية - إشكالية المفاهيم و العلاقة ) موقع أرنثروبوس الثقافة- الهوية- إشكالية- المفاهيم، اطع عليه بتاريخ 2018/03/19 الرابط <http://www.aranthropos.com/> ، 16:30 سا .

<sup>2</sup> - ينظر : آدم كوبر ، الثقافة - التفسير الأنثروبولوجي، تر صباح صديق الدملوحى، المنظمة العربية للترجمة، دت، ص 19.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص ن.



## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

هي الأكثر ثباتا مثل: الإقليم الجغرافي الواحد- أرض الوطن- و الأصل القومي الواحد، و اللغة التي تعد تعبيرا

عن لسان الأمة إلا أن اللغة يمكن أن تكون ثابتة أو متغيرة، أي أنها تشترك في الهوية و في الثقافة، لكونها قابلة

للتغير، فهناك كثير من الشعوب غيرت لغتها أو طورتها من لهجات محلية إلى لغة مقروءة و مكتوبة<sup>1</sup>.

أما الدين و العادات و التقاليد و التاريخ المشترك و الآداب و الفنون، فكلها فتنتمي إلى البعد الثقافي من الهوية،

و هو العنصر الأكثر قابلية للتطور و التجدد.

---

<sup>1</sup>- ينظر : آدم كوبر ، الثقافة - التفسير الأنثروبولوجي، ص 19.

## ||- تمثلات الهوية الوطنية في الكتابات الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

من الصعب الحديث عن الأدب الجزائري المعاصر، دون التصادم بإشكالية اللغة التي يعبر بها هذا الأديب أو ذلك، و تزداد الإشكالية تعقيدا حين يتعلق الأمر بـ " شرعية " تمثيل النص الأدبي للهوية الوطنية للجزائر، في بلد تتنازعه لغتان: العربية و الفرنسية.

و رغم ذلك لم تخل الروايات الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية من مظاهر الهوية الجزائرية و تجليات الموروث الشعبي...

لقد كانت المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية المكتوبة الفرنسية تعكس دائما آمال و آلام أصحابها فبدءا من سنوات العشرينات إلى ما بعد الاستقلال لم تعكس إلا واقعا جزائريا ، لقد عبر الكتاب الجزائريون الناطقون باللغة الفرنسية في سنوات العشرينيات عن فكرة أساسية و هي محاولة التعايش مع الآخر تبعا للسياسة السائدة آنذاك وهي سياسة الإدماج و يظهر ذلك من خلال الأعمال الأدبية للروائيين الجزائريين خريجي المدرسة الفرنسية أمثال "شكري خوجة ، عبد القادر حاج حمو ، القايد بن شريف ، أحمد البوري ..."

ثم تطورت الموضوعات الروائية بتطور الأوضاع و كانت مرحلة الأربعينيات فترة حاسمة « فقد ولدت الحرب العالمية في الجزائر حياة أكثر ثراء و انفتاحا و تنوعا و قد جاء ذلك من صدمة، و بداية الاتصال بثقافات أخرى »<sup>1</sup> فأصبحت كتابات الكتاب الجزائريين، الذين اختاروا الكتابة باللغة الفرنسية، أو حتى الذين فرضت عليهم، مواجهة حقيقية للاستعمار و الثورة على شرائعه و قوانينه، و قد بسطت سلطتها على متلقيهم، فحركت الفكر و استدعت إعماله لفهم مجريات الأحداث.

<sup>1</sup> - محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996 ، د . ع . ط ، ص 104 .

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

فقد استعان الكاتب بحبرهم واستعاضوا عن السلاح به، يقول مولود معمري في نفس السياق: « إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين و في الإمكان أن نطلق العيارات النارية بواسطة القلم، هذا حال الكاتب »<sup>1</sup>.

و لقد مال الكاتب الجزائريون إلى جنس الرواية بالتحديد، لكونها تكفل لهم فضاء أوسع للتعبير عن مكنوناتهم وقضايا شعبهم و ظروفه فاختلّفوا في ذلك عن الكتاب ذوي الأصل الفرنسي الذين عاشوا في الجزائر و كتبوا فيها أما غيرهم من أمثال " ألبير كامو، مانويل روبليس و غبريل أوديسو " الذين لم يلتفتوا يوما لواقع الشعب المرير.

و نورد الآن أمثلة عن أهم الروائيين الناطقين باللغة الفرنسية الذين حملوا على عاتقهم المسألة الوطنية و منهم:

### II-1- مولود فرعون

كانت الكتابة الروائية بالنسبة - لمولود فرعون- تعبيرا عن الذات بالدرجة الأولى و تعبيرا عن الواقع، و يتجلى ذلك في رواية " ابن الفقير " " Le Fils du Pauvre " ، التي تعد سيرة ذاتية للكاتب ، و في " الأرض و الدم " " La Terre et Le Sang " التي تجسد معاناة سكان قرية " ايغيل نزمان " و في " الدروب الوعرة " " Les Chemins qui Montent " التي تعد متممة لسابقتها ، فالموضوع الأساسي المشترك بين تلك الروايات هو الفقر و الحرمان .

لقد استطاع " فرعون " بفضل موهبته التوغل في أعماق الجزائر المحتلة و الكشف عن معاناتها في كافة نواحيها ووصفها ووصف حياتها و مشاكلها التي كان الإستعمار يقف على رأس أسبابه « و إن قدراته التعبيرية ماهي إلا انعكاس لمدى انخراطه في الحياة اليومية ( ... ) و أنه استطاع من خلال إمكاناته أن يضيف إلى الرصيد الثوري للأدب الجزائري شيئا مهما »<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- عائدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1925-1967 )، ص 137.

<sup>2</sup>- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 366.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

كما أن تلك الأمثلة لتدل على وعي الكاتب بانتمائه الجزائري و توظيفه للتراث القبائلي في نصوصه الروائية من خلال استخدام صيغ تنتمي إلى اللغة العربية و اللهجة الجزائرية و القبائلية فهو يذكر معجما لغويا من عمق البيئة المحلية كلفظة "الفوطة الحمراء" التي تعد رمز المرأة القبائلية و تسميات الأدوات المستعملة في الحياة اليومية و مفردات عديدة لا توجد في قواميس اللغة الفرنسية ، إلى جانب استعماله المفردات الدالة على الحياة الدينية لدى السكان نذكر منها: "الصلاة، الجنة، الحرام، القدر، يوم الحساب، الرسول... إلخ" ووقوفه عند بعض العادات القبائلية كعادة "التوزيع" المنتشرة في بلاد القبائل ، و القائمة على التعاون و التكافل و زيارة الزوايا و الأضرحة ... إلخ

إن كل تلك المظاهر الاجتماعية، الدينية، اللغوية و الثقافية التي تزخر بها روايات "مولود فرعون" هي التي شكلت الهوية الوطنية و أظهرتها في أعماله الأدبية و التي كانت من أهم أوليات الكاتب و أهدافه من الكتابة .

### II - 2 - مولود معمري

اعتبر "مولود معمري" الثقافة الفرنسية أداة طيعة سهلت له الكتابة ، والوصول إلى القراء و لم تكن يوما بالنسبة له عقدة إذ نجده يرد على عبارة مالك حداد الشهيرة "اللغة الفرنسية هي منفاي" <sup>1</sup> بقوله: «يجب أن لا نبكي ونشعر بالضيق لأننا نكتب باللغة الفرنسية ، فأنا شخصا إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأية عقدة نقص فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره هو...إني أقول: إن هذه فرصة، بل إنها ثروة للثقافة الجزائرية» <sup>2</sup>.

فهو يعلم جيدا أن لا سبيل للوصول إلى مبتغاه دون استغلال لغة العدو كوسيلة للتعبير، فاللغة هي الأداة الفريدة

<sup>1</sup> -Malek Haddad «les zéros tournent en rond»(essais) Ed.F.Maspero, Paris 1961,p21.

<sup>2</sup>- سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، د ط ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1967 ، ص 90.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

للتحرر و التواصل مع باقي العالم، واللغة الفرنسية ليست أداة للخيانة إنما نقل للحقائق و ترجمة لصور الواقع، فلغة المستعمر لا تبعث في نفسه الشعور بالعار و فقدان الشرف ، بل هي وسيلة فريدة من نوعها يمكن استخدامها من أجل تحررهم و اتحاد إيمانهم مع بقية شعوب العالم و هي تترجم عنهم أكثر مما تخونهم<sup>1</sup>.

إن تعلم الفرنسية كما جاء على لسان بطل رواية (الأفيون و العصا) " بشير " ما هو إلا وسيلة لاستمرارية الحياة و أداء لوظيفة محددة، فكونه طبيبا جراحا، فإن اللغة الفرنسية لا تعدو أن تكون مجرد أداة تتساوى مع مسماع القلب أو مشروط العمليات، و لا تخل رواياته كغيره ممن سبق ذكرهم من مفردات تنتمي إلى معجم اللغة اللهجة الجزائرية. و يشترك "مولود معمري" مع كاتب ياسين في اعتبار توظيف اللغة الفرنسية مجرد وسيلة لتوصيل أفكارهم و لا يشعروهم ذلك بأي عقدة نقص بل هو إثراء للأدب الجزائري.

و قد صور "مولود معمري" فكر الجزائريين الذين درسوا في المعاهد الفرنسية و تأثروا بالفلسفة الإنكارية الوجودية، فابتعدوا كل البعد عن تعاليم الدين، بل حاولوا أن يقنعوا بقية السكان بمعتقداتهم و أفكارهم و مثالنا في ذلك شخصية أرزقي في رواية (إغفاءة العادل) و لكن رغم ذلك يتمسكون بالدين و يقوي لديهم الوازع الديني خاصة عند اللحظات الحاسمة، فالعديد من الشخصيات تتلو الشهادة في اللحظات الحاسمة، مثل لحظة الموت حيث تختتم بها الشخصيات حياتها.

كما يلفت "مولود معمري" على سبيل المثال نظر القارئ في جل أعماله الروائية إلى بعض العادات و السلوكات و الديكورات التي تضرب بجذورها في المجتمع القبائلي مثل بعض العادات التي تميز النساء في تلك المنطقة كاللباس الخاص لهن و الحلي المتمثل في الفضة دون غيره للتزيين بالإضافة إلى عادة وضع السبابة على الشفتين علامة على الدهشة أو التركيز أثناء الاستماع و غيرها من المظاهر المختلفة التي تعكس الهوية الجزائرية البربرية على

---

<sup>1</sup> - Jean Dejeux ,Situation de la littérature Maghrébine de langue française, Ed Naaman-Sherbrooke ,Quebec ,1980, p93, 94.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الخصوص و التي تثبت صلة هذا الأدب بالمجتمع الذي ولد فيه و ارتباطه به و استمداد مادته منه و تصويره لمختلف عناصره التي تشكل هويته في النهاية .

### II-3- محمد ديب

يأتي " محمد ديب " على رأس كتاب الرواية باللغة الفرنسية حسب رأي "واسيني الأعرج" « إذ كان أكثر وعيا وتطورا من غيره »<sup>1</sup> حين جعل من الرواية « إحدى المقومات الأساسية لإدراكنا الحقيقة »<sup>2</sup>. و يطرح "ديب" و لأول مرة « تساؤلات محددة و صريحة عن الهوية الحقيقية للجزائريين »<sup>3</sup> و استطاع أن يقدم نتاجا إبداعيا دقيقا و متميزا معتمدا في ذلك على وسائل فكرية وجدانية لا تقل أهمية عن وسائل الكاتب الفرنسي أكد عبره على وجود الشعب الجزائري الذي حاول الإستعمار الفرنسي إقصاءه و إلغاءه و تقول " يمى العيد " أن خطاب " محمد ديب " الروائي جاء « مميزا في خلق صورة المرجعي الخاص و إن توسلت الفرنسية لغة فإنها تبقى من حيث روحية التعبير ، و العلاقة بالمرجعي ، مندرجة في التجربة الروائية العربية »<sup>4</sup>. لقد كانت الكتابة إذن بالنسبة لـ "محمد ديب" جهادا من أجل الحرية و اعتبرها أداة لا تقل أهمية عن الأسلحة الحربية.

الحربية، حيث اعتبرت كتاباته محرزا للثورات<sup>5</sup> وتأتي ثلاثيته في مقدمة الأعمال التي تؤرخ لمولد الرواية الجزائرية، كما أنها تمثل السيرة الشخصية لصاحبها، و" مذكرات الشعب الجزائري" كما وصفها "أراجون" أو هي الجزائر نفسها كما قال معظم النقاد، فهي تتناول حياة العمال في المدينة، و حياة الفلاحين في القرية، وتنتهي إلى « أن

<sup>1</sup> - واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 366.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 365.

<sup>3</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها، ص 106.

<sup>4</sup> - يمى العيد، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية و تميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، لبنان ، ط1، 1998، ص 93.

<sup>5</sup> - ينظر: أمين الزاوي ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص 320.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

النار قد بدأت ولن تتوقف أبداً. إنها تستمر مشتعلة ببطء وعماء إلى أن تعم ألسنتها الدموية البلاد كلها بجرارتها المدمرة»<sup>1</sup> و قد تبنت الثلاثية اتجاه واقعي و وظفت التعبير اللغوي الذي يناسبها.

و لم ير "محمد ديب" شراً في استخدام اللغة الفرنسية ويعترف أنه لن يشعر أبداً بالانتماء لمجتمع ما بمجرد الكتابة بلغته، فالتفوق سيكون للأرض و الجذور.

فلم تخل ثلاثيته من بعض التعبيرات العربية و المفردات الجزائرية على الرغم من توظيفه للغة الفرنسية و لا من بعض الخصوصيات التي ميزت المجتمع الجزائري مثلاً و جموع النسوة على وجه الخصوص، و لا من بعض المظاهر والواجبات الدينية كأداء الصلاة و قراءة القرآن... و بالمقابل يكشف "ديب" عن بعض السلوكيات المنافية للدين مثل شرب الخمر و اللجوء إلى القنب و المشعوذين. و كل ذلك يوحي بانتماء "ديب" العربي و تمسكه بالأصالة الجزائرية. و لا يرى "ديب" أي خطر في الكتابة باللغة الفرنسية بل على العكس تماماً لأن «المهم أن يكتب الأديب باللغة التي سمحت له و أن يؤدي شهادته... و أنه ليس من العار أن يكتب الكاتب باللغة الفرنسية أو غيرها مادام يحسنها و يسخرها طيبة أمينة»<sup>2</sup> و هذا ما صنع منه كاتباً جزائرياً شديد الإرتباط بهوية مجتمعه .

### II-4- مالك حداد

كانت اللغة الفرنسية بمثابة السجن بالنسبة لهذا الكاتب و قد اعتبرها منفاً: «اللغة الفرنسية هي منفاي»<sup>3</sup> ، يقول "مالك حداد" : «أنا أرطن و لا أتكلم ، إن في لغتي لكنة ، إنني معقود اللسان ، أنا لا أغني ، لا أغني،

<sup>1</sup> -Mohamed Dib, La grande maison, paris, Seuil ,1959, p20.

<sup>2</sup> - محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 453.

<sup>3</sup> - Malek Haddad « les zéros tournent en rond »(essais) ,p21.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

فلو كنت أستطيع الغناء لقلت شعرا عربيا»<sup>1</sup>.

إن مشكلة هؤلاء الكتاب ليست في اللغة بحد ذاتها ، بل بمقدرة هذه اللغة أو عدم قدرتها على التعبير عما يختلج في أنفسهم ما أدى إلى نشوء هذا الصراع النفسي الحاد الذي سببه في الحقيقة هو الاستعمار الفرنسي الذي عمل كل ما في وسعه لفرض لغته و بذلك جعلها لغة التعليم و الثقافة و عمل على خنق اللغة العربية و دفنها بشتى الوسائل ، وهذا ما دفع "مالك حداد" ربما إلى اعتزال اللغة الفرنسية عادة الاستقلال لبطلان الحاجة إليها فـ"مالك حداد" الذي انقطع عن التأليف باللغة الفرنسية إلا نادرا بعد الاستقلال دعا الكتاب الآخرين إلى تبني موقفه و فسح المجال للكتاب باللغة العربية ، ما يثبت أن اللغة الفرنسية كانت مجرد أداة استخدمها الأدباء الجزائريون للكتابة مساهمة منهم في تحرير الجزائر ...

فلقد ظهرت إشكالية الكتابة باللغة الفرنسية أكثر بعد الاستقلال و جلاء المستعمر و ظهرت إشكالية جديدة، لمن سيكتبون ؟ وماذا سيقولون بعد أن انتهى الصراع و استردت الحرية ؟ و حتى خيار الانتقال من الكتابة باللغة الفرنسية إلى العربية لم يكن متاحا نظرا لجهل الكتاب بأدبيات و جماليات هذه اللغة باستثناء قلة قليلة و ضعف عدد القراء المحتملين، فاعتزل "مالك حداد" الكتابة بالحرف الفرنسي.

و تجدر الإشارة إلى أن " حداد " كان يرفض تسمية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية واستعماله عوضا عن ذلك "الأدب الفرنسي دو التعبير الجزائري" ، فهو فرنسي بالنظر إلى وسيلة التعبير و لكنه جزائري قلبا و روحا.

يرى "مالك حداد" أن الفرق بين المستوطنين و الأهالي رغم أنهم يكتبون بلغة واحدة هو الحنين إلى اللغة الأم التي منعوا من تعلمها فأصبحوا بذلك أيتام، بالإضافة إلى الانتماء للدين الإسلامي و الثقافة الجزائرية بكل مقوماتها.

فمن " رصيف الأزهار لا يجيب " إلى " سأهبك غزالة " " Je t'offrirais une gazelle " إلى " الشقاء في خطر " ظل " حداد" يحمل مأساته المزوجة و ربما بحس يختلف عن الآخرين، إن هذا الهم المزوج " الاستعمار

<sup>1</sup>- نقلا عن أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1965، د.ع.ط،ص 228.



## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

واللغة " هو الذي حدد مسار " مالك حداد " في كل أعماله . فبالرغم من مأساة اللغة عبر هذا الكاتب عن هموم وطنية و قومية و إنسانية برؤية تقدمية في شكلها العام .

و تشكل رواياته قصائد شعرية تضم من حين لآخر تصريحات وطنية و حماسية ، و "مالك حداد" يتعاطى مع الحدث بقلبه لا بفكره لذلك فأعماله تعبر عن مجموعة من العواطف و المشاعر أكثر ما تعبر عن آراء و أفكار بذاتها، و هو لم يهمل الثورة التحريرية و لا مجاهديها الذين كانوا يحاربون من أجل استعادة الشعب حريته و سيادته و سعادته<sup>1</sup> و تكاد تجسد روايته " التلميذ و المدرس " " L'élève et la leçon " كل ما كان يدور في وجدانه حول الاستعمار و الثورة و آلام شعبه و جسد " حداد " صورة البطولة في المقاومة الجزائرية من خلال هذه الرواية<sup>2</sup> ، فروايات " مالك حداد " إذن دارت كلها عن الثورة وهي تلامسها من قريب أو من بعيد بإحساس قوي وجياش، فصورة الوطن بتفاصيله تتجسد في أعماله كما لا تخل هذه الأخيرة من عبارات شعبية يستعيرها من الخطاب الجزائري و تكون مرفوقة غالبا بشرح في الهامش في متونه الروائية .

إن كل عناصر الهوية الوطنية المتجلية في أعماله الأدبية لتثبت صدق مقولته الشهيرة و تؤكد اعتزازه بقومية حيث قال : « نحن نكتب الفرنسي و لا نكتب بالفرنسية »

<sup>3</sup> « Nous écrivons le Français, nous n'écrivons pas en français »

فشخصية الكاتب و الثورة تشكلان إذن المنهل لرواياته و حب الوطن بمثابة العماد الذي تقوم عليه هذه الأخيرة، إن إبداعه يعطي فكرة جلية عن المكانة التي وصلت إليها الرواية الواقعية في الجزائر و قد واكب إبداعه برمته فترة حرب التحرير فالكاتب لم ينشر أي كتاب بعد الاستقلال - كما سبق و أن أشرنا - .

<sup>1</sup> - Malek Haddad, je t'offrirai une gazelle, Paris, Julliard, 1959, P30.

<sup>2</sup> - Malek Haddad, L'élève et la leçon, Paris, Julliard, 1960, P38.

<sup>3</sup>- أم الخير جبور ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية- دراسة سوسيو نقدية- ص 77.

## II - 6- كاتب ياسين

يؤكد "كاتب ياسين" أن اللغة الفرنسية تبقى في رأيه أكثر اللغات إمساكا و تعبيرا عن التناقضات بشكل واضح<sup>1</sup>، فـ "كاتب ياسين" « أدرك أن على الكاتب الثوري الذي اختار النضال بالقلم أن يكون ثوريا كذلك في مجاله الخاص مجال الكتابة و تعتبر روايته الرائعة " نجمة" مثالا دالا على الموقف الثوري »<sup>2</sup>.

فقد كان لأحداث الثامن ماي 1945م أثرها البالغ على نفسية الكاتب لذا فإنها حاضرة في الرواية بشكل واضح فإذا كانت " نجمة" تمثل اسم ابنة عمه التي أحبها و لكنها زوجت لغيره ، فإنها أيضا اسم "الوطن" الذي يرتسم بنجمة عالية في السماء ، و لا يحق له أن يموت رغم كل شيء.

و كغيره من الكتاب الجزائريين الناطقين باللغة الفرنسية و المتمسكين بجذورهم الوطنية و أصولهم الثقافية فإننا نلاحظ وجود صيغ للهجة الجزائرية في رواية (نجمة) في نفس الرواية إلى فريضة الحج و إلى التناقضات التي يقع فيها الأشخاص في المجتمع الجزائري ما يثبت انطلاقه من مجتمعه المحلي للكتابة و من قيمه الدينية و الثقافية والإجتماعية.

و تجدر الإشارة إلى أن "كاتب ياسين" قد اختار التحول إلى اللغة العربية و كتابة المسرحيات للتقرب من الجمهور، و فتح أعينه لفهم مصيره و كان هذا التحول خيارا شخصيا أشعره بالانتماء إلى الأرض و الشعب.

## II - 7- آسيا جبار

لقد أبدت " آسيا جبار" رأيها دائما في مسألة الكتابة باللغة الفرنسية إذ قالت : « لقد كان منفانا الأول لقد اعتبرت هذ اللغة غريبة عن الكتاب « تبقى هذه اللغة الغريبة أشبه بزوجة الأب خشنة و فضة »<sup>3</sup>، و مع

<sup>1</sup>- عايدة بامية أديب، تطور الأدب القصصي الجزائري – ( 1925-1967 ) ، ص 155.

<sup>2</sup>- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 365.

<sup>3</sup>- عايدة بامية أديب، المرجع نفسه ( 1925-1967 )، ص 90.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

ذلك عملت " آسيا جبار " على تطويعها فقد كانت أداؤها للتعبير عن تجاربها الذاتية، فقد استفادت من

ذكرياتها فأعادت تشكيل الواقع الخاضع لمنطق الرواية .

لقد آثرت " آسيا جبار " أن تناقش في أعمالها الروائية خلال عشرية الخمسينات موضوع حرية المرأة، مبتعدة

بذلك عن كل ما يدور في حرب التحرير ، و قد تجسدت هذه الرؤية خاصة خلال الروايتين الأولتين " العطش "

" la soif " 1954 و " القلقون " " les impatientes " 1957 و اللتان تحاولان أن تأخذنا بيد المرأة

الجزائرية إلى التحرر و التطور.

كما تطرقت الكاتبة إلى مواضيع مختلفة أخرى من خلال رواياتها فمن تصوير الوطن انتقلت إلى تناول واقع المرأة

الجزائرية مثلما نجد في روايتها " Femme d'Alger dans leurs appartements " " نساء الجزائر

في شققهم " عاجلت - آسيا جبار - مآسي و آلام النساء الجزائريات ، كاشفة أشكال التهميش التي تطالهن

منادية بتحرير المرأة.

لقد لجأت " جبار " إلى اللغة الفرنسية و على الرغم من ذلك فإن رواياتها التي تصوير تزخر بصنوف التراث القديم

ومثلما نجد في روايتها " القنابر الساذجة " " Les Alouettes Naïves " كما تطرقت إلى بعض المظاهر

الدينية للمجتمع الجزائري كفريضة الصوم في شهر رمضان و ما يميزها من عادات و مظاهر التأخي و التضامن

ما جعلها قريبة من مجتمعها المحلي بقضاياها و صراعاته و تناقضاته و ملتحمة بشخصياته و مقوماته الدينية

والاجتماعية في كتابتها.

لقد عبر كل من "مولود فرعون ، مولود معمري، محمد ديب، مالك حداد، كاتب ياسين ، آسيا جبار"

وغيرهم عن مأساة الكاتب الذي يكتب باللغة الفرنسية و يجد نفسه بين ثقافتين ، ثقافة أجنبية تعلمها في

المدارس وثقافة أصيلة تشده إليها ما جعلهم يشعرون بمأساتهم و ما عمق هذه الأخيرة هو أنهم راحوا يتساءلون

عن طبيعة الجمهور الذي سيقراً ما يكتبون و قد شرح " مولود معمري " ذلك بقوله: « .... من سيقراً كُتُب

الأدباء العرب التي يتحدثون فيها عن أنفسهم ؟ العرب الآخرون ؟ إنهم لا يجيدون القراءة ... الفرنسيون ؟ لم

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

يكونوا قد اكتشفوا بعد وجود العرب، وعلى كل حال، فقد كان يصعبُ عليهم تمييزهم عن الجمال و الكُتبان والقذارة و الكذب»<sup>1</sup>

و مع ذلك فقد كانت هذه اللغة وسيلتهم الوحيدة للدفاع عن أصالة ثقافتهم و جذور حضارتهم بل أكثر من ذلك فإن اللغة الفرنسية كانت السلاح الوحيد لمحاربة المحتل عبر لغته، و كسر كل القيود التي تكبله<sup>2</sup>.

و عليه فمن غير الممكن فصل الممارسات الإبداعية للكتاب الجزائريين الناطقين باللغة الفرنسية عن القيم الاجتماعية و التاريخية، فالكتابة باللغة الفرنسية تعود أساسا إلى الظرف التاريخي حسب رأي الكاتب "واسيني الأعرج" و إلى الأوضاع الاستعمارية التي عاشتها الجزائر<sup>3</sup> و يسميها " عبد الله ركيبي " ظروف خاصة و مرحلة معينة<sup>4</sup> حملت الكتاب الجزائريين على تناول الكلمة و فرضت عليهم أن يتخذوا اللغة الفرنسية أداة للتعبير في ظروف استعمارية قاسية غير طبيعية<sup>5</sup> جعلت من أدبهم " مخلوقا خاصا قائما بذاته مثل المولود الذي يولد نتيجة ظروف معينة، غير سوي فيكبر و يلعب دوره في الحياة ، إنه ابن أبويه ، لكنه لا يشبه إخوته، و لا يمكن التحلي عنه وإنكاره<sup>6</sup>. فلا يمكن أن ننفي عنه « الروح الجزائرية التي كتب بها<sup>7</sup> و القيم الروحية و الأخلاقية الأصيلة للشعب الجزائري<sup>8</sup> التي يعبر عنها ، فكتاب الرواية باللغة الفرنسية التحموا " بالواقع الجزائري و بالشعب و قاتلوا

<sup>1</sup>- ينظر : عايدة بامية أديب ، تطور الأدب القصصي الجزائري ، ص 56.

<sup>2</sup>- ينظر: الطاهر بكري ، إشكالية الأدب المغربي الناطق بالفرنسية و مسألة اللغة ، التبيين ، فصلية تصدر عن الجاحظية، العدد الفصلي الأول ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1990، ص 103.

<sup>3</sup>- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 70.

<sup>4</sup>- عبد الله خليفة ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، ص 94.

<sup>5</sup>- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها، ص 181.

<sup>6</sup>- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 98.

<sup>7</sup>- أحمد منور، المرجع نفسه ، ص 102.

<sup>8</sup>- المرجع نفسه ، ص 162.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

في خندق واحد وعلى جبهة نضالية واحدة<sup>1</sup> و ساروا مع الجزائر في طريق النضال و تقاسموا معها عناء الذود عن وجودها، وشاركوا بفاعلية كبيرة في صنع تاريخها الثوري و استشراف أفق استقلالها .

إن هذا الأدب أكبر من أن يكون مجرد « أدب ذا صبغة فولكلورية »<sup>2</sup>، لأنه يقوم على « عملية انتقاء واعية للأحداث ، باحثة عن الجوهر في العالم الذي تصوره »<sup>3</sup> و هو ليس مجرد حامل للفكر الاستعماري و مقلد للأوهام والصور الفولكلورية التي اختلقها هذا الأخير و رسمها عن الذات المغاربية عامة و الجزائرية خاصة .

فالكتابة باللغة الفرنسية لا تعني على الإطلاق أن توجهاتهم فرنسية خاصة و أنها كانت مفروضة عليهم فرضا و لا يتقنون غيرها و هذا ما ذهب إليه "كاتب ياسين" حين سمي أنفسهم الكتاب الثوريين<sup>4</sup> تأكيدا على الروح الثورية الثورية التي تغمرهم و تغمر أعمالهم ، و التي اعتبرها "مولود معمري" من جانبه التزاما بـ « واقع الأمة الجزائرية العميق »<sup>5</sup> و تلتقي آراؤهم هذه برأي "مراد بوربون" الذي يقول « إن اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا للفرنسيين ، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل إن اية لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها و يطوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية »<sup>6</sup> فهو لم يرض بدوره أن يجعل من نتاجه الأدبي مجرد تابع للأدب الفرنسي لأن ما قدمه الكتاب الجزائريين باللغة الفرنسية " ليس له طابع المستعمر رغم استخدامهم لغة المستعمر ، و لكنهم فرضوا أدبا حرا متحررا ، أدبا ذاتيا ولم يكن تابعا للأدب الفرنسي كما أنه لم يكن امتدادا للأجنبي<sup>7</sup> فليس كل ما يقدم باللغة الفرنسية بالضرورة اغتراب ثقافي و تنكر لجذورنا التاريخية الثقافية و تمزق بين هويتنا وهوية الآخر الغربي.

<sup>1</sup>- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها.

<sup>2</sup>- عبد الله العروي، الايدولوجيا العربية المعاصرة، ط1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1995، ص 211.

<sup>3</sup>- واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ، ص 367.

<sup>4</sup>- عايدة بامية أديب، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1925-1967 ) ، ص 72 .

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص 72.

<sup>6</sup>- نقلا عن محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 380 .

<sup>7</sup>- عايدة بامية أديب، المرجع نفسه، ص 50.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

إذا فقد كتب هؤلاء الأدباء بالفرنسية و بينوا مأساة الأديب الذي يكتب بهذه اللغة و الذي يجد نفسه بين حضارتين و ثقافتين صحبة هذا الصراع و العنف التاريخي و رغم ذلك رفضوا السكوت الذي يعني التواطؤ مع العدو و اختاروا التعبير و لو بلغته ، فلقد فجروا هذه الأخيرة و فتتوها ليؤسسوا بهذه اللغة لغة جديدة ذات رؤية جديدة و فلسفة جديدة لتكون لغة أخرى غير جزائرية و غير فرنسية تحمل كل التناقضات و لكنها تحقق الهدف الذي كتبوا من أجله ألا و هو مقاومة الاستعمار الفرنسي .

إن اللغة التي استعملها الكتاب الجزائريون كانت لغة راقية ضاهت في جمالها لغة " بلزاك و فلوبيير .. " و غيرهم فقد نسجوا خيوطها بحرفية عالية و لكنها في الوقت نفسه كانت لغة فرنسية استثنائية استطاعت أن تعبر عن خصوصيات الهوية العربية و الأمازيغية و الإسلامية في إشارة إلى أثر الموروث الثقافي على نفوس الكتاب الجزائريين و عقولهم و امتداده إلى النصوص التي أبدعوها و كشفت عن انتمائهم الحقيقي فاستحالت إلى أعمال فنية خالدة.

أما مواضيع ما بعد الإستقلال ، فقد اختلفت و تنوعت فجزء منها كان عودة إلى سنوات الثورة التحريرية كرواية ( الأفيون و العصا ) لمولود معمري و التي تحدث فيها عن السياسة الفرنسية المعتمدة على عنصري " الترغيب " و " التهيب " كما يدل ذلك لفظي " الأفيون " و " العصا " على التوالي<sup>1</sup> كما تناول موضوعات الحرب هذه الكثير من الروائيين الآخرين، و الجزء الآخر تصوير للأوضاع السياسية و الاجتماعية السائدة في فترة ما بعد الاستقلال و من أهم المشاكل التي برزت صعوبة اختيار عقيدة سياسية بالإنتماء إلى واحدة من الكتلتين الرئيسيتين اللتين كانتا تسيطران على العالم و هذا ما حاول " محمد ديب " مناقشته في روايته " الله في برياري " التي تبين أن الحل لا من أي من الكتلتين<sup>2</sup> .

<sup>1</sup>- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ، ص 165.

<sup>2</sup>المرجع نفسه ، ص 193.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

كما صورت نخبة أمل الشعب بعد الإستقلال و قد جسدها ثلاث روائيون عبروا بصدق عن هذه الخيبة وهم محمد ديب في " رقصة الملك " " La dance du roi " ، مراد بوربون " في رواية " المؤذن " " Le muezzin " 1968 ، إضافة إلى روايته " ذاكرة الشعب " التي تتناول الوعي الوطني لدى الشعب الجزائري ، فالشعب هو مدرسة "مراد بوربون" و هو رفيقه في الكفاح و النضال المشترك ، و يدعو "بوربون" إلى عدم استغلال ثورة الشعب، منتقدا أخطاء و نواقص الثورة التحريرية<sup>1</sup> و يؤمن بأن الأدب هو نضال من أجل الإنسان الجديد و سعادته كما أن اللغة تكون ملكا لمن يسيطر عليها و يطوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية- كما أسلفنا الذكر - .

و في رواية " الطلاق " " la répudiation " لـ " رشيد بوجدره " التي يظهر فيها الجانب الآخر من الأوضاع من خلال ضحية من ضحايا الحرب نزيل عيادة نفسية ، أنقذه مرضه من سياسة القمع التي كانت تتبعها السلطة الحاكمة<sup>2</sup> وينقد الأوضاع في الجزائر قبل الاستقلال وبعده وقد سمى الكاتب حكام الجزائر المستقلة: « العشيرة »، أما جواسيسهم فأطلق عليهم إسم « الأعضاء السريين»<sup>3</sup> وتجلّى الاهتمام بالثورة و مخلفاتها أيضا في رواية " رشيد ميموني " طمبيزا " " tombeza " التي تمتد قصتها من فترة الاستعمار إلى غاية الإستقلال وروايته " شرف القبيلة " و يركز " ميموني " عموما على العالم القروي وتحولاته، كما يتفادى الحديث عن الآخر باسمه، فهو الأجنبي والرومي والمتحضر بالنسبة إليه ، و هذه التسميات كلها إنما تعكس أنواع الاستغلال التي انصبت على القبيلة، سواء الإيديولوجية أو السلطوية.<sup>4</sup> و تتجاوز بذلك رواية " شرف القبيلة " الواقعية والواقعية الإشتراكية إلى النقد المزدوج للذات و للآخر . و قد انضم إلى هذا السرب أسماء جديدة في عالم الأدب

<sup>1</sup> - Mourad Bourbone, La memoire du peuple, Alger 1967, p 7.

<sup>2</sup> - Ipid, p194.

<sup>3</sup> - Rachid Boudjedra, La répudiation, Paris, Denoeil, 1969, p 60.

<sup>4</sup> - Rachid Mimouni, L'honneur de tribu, Gallimard, Paris 1989 P76 ;32

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

مثل " حسين بوزاهر " في روايته ( أصابع النهار) 1967، و " صالح فلاح " في روايته ( أسلاك الحياة الشائكة 1969)، فكلها روايات اتخذت أحداث ووقائع الثورة المسلحة إطارا عاما لها .

و قد قلت هذه الموضوعات في فترة الإستقلال نوعا ما " أمام صعود للموضوعات المرتبطة بجزائر اليوم ( الشباب، المرأة، الزواج ... إلخ"<sup>1</sup> .

أما الجيل الجديد ممن برزت أسماءهم بعد الاستقلال، فيعتبر الكتابة باللغة الفرنسية اختيار واعى و مقصود لأنه كان بإمكانهم الكتابة باللغة العربية عوضا عن اللغة الفرنسية، أو حتى تطوير لغتهم العربية لتواكب البناء الجمالي اللغوي للرواية ، و رغم أنهم استمروا في الكتابة بلغة المستعمر إلا أنهم لم يشككوا - و لم يتكروا مجالا للشك - أن ما يكتبونه أدب جزائري فقد أصبح ذلك من المسلمات.

أما استثناء القاعدة فكان "رشيد بوجدره" لذي تحول إلى الكتابة باللغة العربية عبر روايته التفكك ( 1981) ورأى في تحوله إلى الكتابة باللغة العربية أمر طبيعي لا يستدعي أي تفسير أو تأويل، و جاءت بعدها روايات أخرى باللغة العربية قام "بوجدره" نفسه بترجمتها إلى اللغة الفرنسية، و نذكر في هذا الشأن كتاب ممن تحولوا عن الكتابة باللغة العربية إلى اللغة الفرنسية أو الإشتغال عليها بالتوازي مع اللغة العربية و تبني القلم الواحد للغتين مثل " أمين الزاوي ، محمد ساري، واسيني الأعرج، مرزاق بقطاش... " و غيرهم ، فكانت أعمالهم جهدا مضافا فتح آفاق جديدة للتعددية اللغوية و تجسيديا لمرحلة أخرى - لا يتسنى لنا المقام للحديث عنها في هذه الدراسة حاليا- اتخذت فيها الظاهرة بناء على ذلك أبعادا زادت من أهميتها و آفاقها و آفاق الكتابة الإبداعية للرواية الجزائرية بصفة عامة و قد يكون تحول هؤلاء الكتاب من العربية إلى الفرنسية لإثراء تجاربهم الإبداعية من جهة و إدراك الأوضاع الثقافية الحالية من جهة أخرى و إصابة قارئين ، قارئ باللغة العربية و قارئ باللغة الفرنسية و هو أهم رهاناتهم فيحققوا بذلك انتشارا و شهرة أكثر.

<sup>1</sup> - أمين الزاوي ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ص 421 .



## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و قد واصل جيل جديد بعدهم الكتابة طواعية بهذه اللغة أمثال "بوعلام صلصال ، مايسة باي ، سليم باشا، أنور عبد المالك ، كمال داود ... " و غيرهم و هو الجيل الذي كتب بكثير من الحرية فلم يكن المقدس عائقا أمامهم، و لم تكن الرقابة الذاتية أو المؤسساتية و الإجتماعية تمنعهم من مقارنة موضوعات حساسة و خطيرة مثل طابو الجنس و السياسة و الدين ، فمنح هذا التحرر النسبي لرواياتهم الإمتياز .

و مهما يكن من أمر فإن هذا الأدب قد نشأ في الجزائر بأقلام جزائرية تحت ظروف قاهرة ألزمت الكتاب الاستعانة بلغة المستعمر لإسماع أصواتهم المنادية بالمساواة و الحرية و للتعريف بالقضية الجزائرية في العالم، أما الكتاب من جيل الاستقلال ممن ظلوا على وفائهم للحرف الفرنسي، فقد رفعوا شعارات " اللغة الفرنسية غنيمة حرب " يجب المحافظة عليها لاستمرارية الموروث الثقافي من الحقبة الاستعمارية التي تشكل جزءا من تاريخ الجزائر، فلا يشك أحد في كون هذا الأدب جزائريا و لكنه لا يمنحه الأولوية على الإنتاجات الأدبية المكتوبة باللغة العربية لكونها اللغة الرسمية للبلاد . و في تعليق لرشيد بوجدره على نسب الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، فإنه يقيسه على قانون الجنسية فالمولود لأب و أم جزائرية له الحق في الجنسية الجزائرية، حتى و لو ولد خارج الجزائر، إذن الأدب الذي يكتبه جزائريون بلغة موليير أدب جزائري استحق جنسيته من انتماء مبدعه .

و بالرغم من الآراء المتباينة بشأن خصوصية النص الأدبي الجزائري المعاصر، فإن واقع الحركة الإبداعية، تواصل تقدمها، و تجدد تألقها، و تحقق ذاتها، حتى و إن كان هذا النص يخلق بجناحين: العربية و الفرنسية.

و خلاصة القول إن المسألة لا تطرح " أزمة " في المفاهيم، انطلاقا من أن الفكرة التي يزرع بها قلم الأديب، هي الأساس، و الجوهر، و بالتالي " الهوية " لدى الكاتب و المبدع، لا يمكن تحديدها و حصرها في جنسية اللغة التي يكتب بها المؤلف روائعه الإبداعية، إن شعرا، أو نثرا .

لقد استطاع الأدباء الجزائريون الذين عبروا بلغة المستعمر، أن يبحثوا داخل لغة عدوهم عن لغتهم و كلامهم الذاتي أي عن خصوصية فيها تدل عليهم و تكشف للعالم فظاعة المستعمر الفرنسي.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

لقد أيقن هؤلاء الكتاب بأنه ليس هناك ضرر من أن يكتبوا باللغة الفرنسية التي كانت قدرا محتوما، لغاية استعمارية ، فطوعوها - كما قلنا سابقا - وكتبوا بها ما يعبر عن أصالة وطنية و إحساس قومي عال وإن العبارات التي يرصفونها بأسلوبهم الفرنسي ما هي في الحقيقة إلا قوالب و أشكال ، أما الروح و الأفكار و المعاني والشعور فكلها عربية من صميم الواقع الجزائري و السياسي الجزائري .

و لقد بقي هؤلاء الكتاب متحاورين مع مطامح الوطن و قضاياها و لم يفقدوا انتماءهم إلى وطنهم الأم، متسامين فوق ثقافة المستعمر إلى مستوى الإحساس الوطني و القومي.

« سيظل الكاتب المغربي باللغة الفرنسية يمثل مغرب اليوم في ثقافته و تحولاته ، و تساؤلاته على الرغم من كونه يحمل البصمة الأجنبية في كتاباته »<sup>1</sup> .

و هكذا ف "جون ديجو" يدرج الأدب الجزائري وفق الأدب المغاربي معترفا بهويته المغاربية ، المعبرة عن مضامينه الحاملة للروح العربية المغاربية و التي لا يجب إغفالها في إثبات الهوية.

على الرغم من تنبأ البعض و من بينهم " ألبير ميمي " بالموت المبكر لهذا الأدب بسبب ارتباطه بظروف مرحلية حيث قال : « إن أدب المستعمر باللغات الأوربية محكوم عليه فيما يبدو بالموت في سن مبكرة ( ... ) ارتبط ميلاده و تطوره بالظاهرة الاستعمارية ، و كذلك سيكون موته مرتبط بزوال الظاهرة »<sup>2</sup> و كذلك الأمر بالنسبة لـ "عبدالله العروي" الذي يقول أن هذا الأدب في عمومها يتسم بطابع ظرفية عابرة و لا يستهوي القارئ، إلا بصفته شهادة على وضعية في غاية الخصوصية<sup>3</sup> .

و لكن يكفي الكتاب الجزائريون الناطقين باللغة الفرنسية فخرا أنهم استطاعوا أن يتجاوزوا بفكرهم و أدبهم الوسط الثقافي الفرنسي المحتل و لغته و بثوا عبر أعمالهم الأدبية قيم و مقومات هويتهم المضطهدة و عرضوها أمام المستعمر باللغة التي يفهمها و في الشكل الروائي الذي استحدثه وجره إلى الاعتراف بهم .

<sup>1</sup> - Jean Dejeux, Situation de la littérature Maghrébine de langue française, p 184.

<sup>2</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها ، ص 127.

<sup>3</sup> - عبد الله العروي، الايدولوجيا العربية المعاصرة، ص 211.

## ثانيا - صورة الهوية الوطنية من خلال رباعية "مولود معمري"

### 1- مقولة الهوية في رباعية مولود معمري

#### 1-1- رواية الهضبة المنسية *La colline oubliée*

حرص "مولود معمري" على إظهار قيم مجتمعه الجزائري في كل أعماله الأدبية بدءا بروايته الأولى ( الهضبة المنسية)، والتي نالت قسطا وافرا من النقد اللاذع و النقاش الحاد من قبل الصحافة الوطنية وأثارت خصومة حادة بين المثقفين الجزائريين ، فقد شكلت هذه الرواية حين صدورها سنة 1952 حدثا أدبيا متميزا في أوساط المثقفين الجزائريين باللغة الفرنسية ، بما حملته من مضمون جديد و بجراتها في طرح مسائل اجتماعية لم يتعود الروائيون على طرحها من قبل من ذلك مثلا نقد ( الهضبة المنسية) للعادات و التقاليد المتشددة في المجتمع القبائلي و التحدث عن بعض العلاقات التي تعد كسر لطابوهات المجتمع و أعرافه في تلك الفترة ، و من هنا انتقده منتقدوه و عدوا روايته غير مناسبة للمرحلة التي ظهرت فيها<sup>1</sup> ، و أن عليه « أن يكون في المستقبل أكثر التزاما من حيث مواقفه السياسية »<sup>2</sup>.

لقد عدوها رواية " اثنوغرافية " تهتم بوصف العادات و التقاليد لمجموعة إثنية معينة كما أن الأسلوب الذي كتبت به الرواية يحمل دلالات أيديولوجية ، سلك الكاتب فيها نحا " اثنوغرافي " حينما عرض الواقع الجزائري القبائلي و لذلك اعتبرت امتدادا لتقليد فرنسي محض ، ما أدى لدارسي الأدب و أصحاب الحركة الوطنية إلى انتقاد الكاتب بل و تجريده من وطنيته لاسيما حينما انهالت عليها الصحافة الفرنسية بالإعجاب و المدح. في حين أن عناية الكاتب بوصف العادات و التقاليد كان بغرض معاكس تماما لهذا الاتجاه أي أنه كان يكتب عنها بغرض نقدها ، و إظهار ما فيها من تزم و ما تنطوي عليه من أفكار و معتقدات خاطئة و متخلفة تؤثر

<sup>1</sup> - أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها ، ص 33.

<sup>2</sup> - محمد الصالح دميري، مجادلات حول الهضبة المنسية لمولود معمري، تر حنفي بن عيسى ، مجلة الثقافة ، العدد 102، الجزائر، 1989 ، ص 40 .

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

بشكل مباشر على الأفراد في المجتمع و تقضي على سعادتهم و مستقبلهم .لقد جسد " معمرى " في روايته الأولى الصراع بين تقاليد المجتمع العتيقة و رغبة البعض في التحرر منها ، تجسدت في قصة الحب المأساوية بين شابين هما مقران " و " عزي " في تلك الظروف الصعبة للحرب العالمية الثانية 1942-1944 و في ذلك الإطار الاجتماعي المتزمت لقرية " تازغا " التي تجري فيها أحداث القصة .

كما ركز الكاتب على إبراز صراع الرجال و النساء في علاقاتهم العاطفية بشكليها المشروع و المحرم على السواء مع التقاليد المتشددة التي لم تكن لتسمح بقيام تلك العلاقات إلا في حدود ضيقة و ضمن الشرعية الزوجية لا غير ولم يكن للعواطف مكانا إلا بما يحققه الزواج من الغرض النفعي المباشر منه أي إنجاب الأطفال حفاظا على النسب العائلي فإذا لم يتحقق هذا الغرض فإن التقاليد ممثلة هنا في الأهل و الأقارب تتدخل لإنهاء هذه العلاقة وهذه هي الإشكالية التي يطرحها الكاتب في روايته من خلال سرد مأساة زوجين كانا يعيشان حياة زوجية سعيدة لتتدخل التقاليد ممثلة في الأهل و الأقارب لتدوس على عواطفهما و تفرق بينهما ، فوالد " مقران " مصر على ضرورة طلاق ابنه من زوجته .

لقد حاول الزوجان قبل هذا طرقا عديدة للإنجاب و جريا عمليات علاجية تقليدية غريبة و مرهقة و غير مجدية في نهاية الأمر مما أدى إلى زيادة معاناتهما النفسية لاسيما "عزي" التي كانت تحملها أم مقران مسؤولية عدم الإنجاب و أن هذا الأمر هو عقاب من الله على ما يمكن أن تكون المرأة قد ارتكبتة من ذنوب ... ما كان يقود الزوجين إلى شد الرحال إلى ضريح أحد الأولياء تقريبا منه و توزع الهبات على خدم الضريح و الصدقات على الفقراء والمساكين فتقف " عزي " أمام الضريح لتعترف بذنوبها في تضرع و يأس قائلة « يا سيدي عبد الرحمن إنك تخليت عني عارية أمام إرادة الله، أغثني ، امنحني ولدا و سأعطيه اسمك : عبد الرحمن »<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la colline oubliée, ed, plon paris, 1952, réed Bouchéne, Alger. (s.d.e) P70.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و انتظرت " عزي" بركة الولي عبد الرحمن « و لكن مرت الأيام ثم الأسابيع ثم شهور الشتاء كلها و عندما حل الربيع لم يكن هناك أي شيء قد تغير بالنسبة إليها»<sup>1</sup>.

إن هذه المحاولات غير المجدية و غيرها هي التي عجلت بالطلاق الذي كان "مقران" رافضا له في قرارة نفسه وعاجزا عن التصريح بذلك ، لقد اكتفى فقط بكتابة ذلك على دفتر مذكراته الشخصية<sup>2</sup> و لكنه لم يكن في استطاعته التمرد على إرادة الأب الذي يستمد سيطرته على الأبناء من سطوة التقاليد و الأعراف و هذا ما أراد المؤلف إبرازه و التنديد به.

لقد وجد "مقران" في استدعائه للمرة الثانية للخدمة العسكرية مهريا من المشكلة يعفيه من المواجهة و يريجه إلى حد ما من تأنيب الضمير نحو زوجته التي عجز عن فعل أي شيء من أجلها.<sup>3</sup>

لقد كانت رواية (الهضبة المنسية) أو (الربوة المنسية) رواية اجتماعية بامتياز و بعيدة عن أن تكون رواية سياسية و هذا ربما ما جعلها تثير عدة انتقادات خاصة في الصحف الموالية لأحزاب الحركة الوطنية و آخذت " معمرى" على اهتمامه بقضايا تراها هامشية بدل الاهتمام بقضية الشعب الذي يزرع تحت وطأة الاستعمار<sup>4</sup>.

و الواقع أن هذه الرواية كانت بعيدة فعلا عن الانشغالات السياسية للجزائريين في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية غير أنها من الناحية الاجتماعية لم تكن بعيدة أبدا عن الأوضاع الاجتماعية المتردية لحياة الأغلبية من الشعب الجزائري و التي أفرزتها في الحقيقة الأوضاع السياسية القاسية في تلك الحقبة فالرواية لم تكن بعيدة عن حياة الفقر المدقع والحاجة الشديدة التي ازدادت سوءا بفعل الحرب حتى أصبح هم الناس هو الحصول على ما يسد رمقهم و يحفظ نفوسهم .

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la colline oubliée, P 80.

<sup>2</sup> - Ipid, p 92.

<sup>3</sup> - Ipid p, 113.

<sup>4</sup> - مجموعة من الباحثين ، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة ، دط ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007، ص 34 .

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و قد صور الكاتب ببراعة كبيرة أوجها عديدة من تلك الأوضاع المتردية ، ما يجعل من قرية " تازغا" التي تجري فيها الأحداث نموذجا مصغرا يمثل القرى و الأرياف الجزائرية في تلك الحقبة بل و يمثل المدن أيضا في تلك الظروف الصعبة - و التي كانت في الحقيقة حال كل القرى و الأرياف الجزائرية - فترة الحرب العالمية الثانية فلقد ضيقت الحرب على قرية " تازغا" و حرمتهم من شبابها الذين جندوا قسرا في صفوف الجيش الفرنسي و هذا ما أثر على خدمة الأرض التي هي مصدر رزقهم الرئيسي<sup>1</sup> .

كما حرمتهم من تلك المساعدات المالية التي يبعث بها مهاجرو القرية لأهاليهم<sup>2</sup> و يجسد هذه الظروف الصعبة "إبراهيم" و زوجته "سكورة" التي تضطر إلى القيام بخدمة بيوت الأقارب مقابل لقمة العيش التي يقدمونها لها ولأطفالها و قليلا ما يقدمون لها نقودا مقابل ذلك ، كما تتجسد هذه المعاناة في الراعي " موح " و أمه "تاسعديت " و غيرهم كثيرون .

و خلاصة القول أن رواية (الهضبة المنسية) قد انطبعت فيها صورة "معمري" الإنسان الذي يحمل بين جوانبه الروح القروية النقية المجبولة على الطبيعة و الفطرة و تجسد فيها إبداعه الفني : " إن معمري لفنان كبير أثار من خلال روايته مشاكل حساسة في المجتمع الجزائري ، واجهها أبطال قبائليون كنماذج للإنسان القبائلي ، لأن حوادث الرواية لا تتجاوز منطقة القبائل كجزء من كل هو الوطن بأكمله ، و أبطالها يتجاوزون حدود المكان ليكونوا الصورة المعبرة عما يعانیه إنسان الجزائر على يد الاستعمار<sup>3</sup> و لا شك أن عملا عظيما مثل هذا لا بد أن توجه إليه كل تلك سهام النقد تلك .

## 2-1- رواية إغفاءة العادل Le sommeil du juste

إن رواية "مولود معمري" الثانية الموسومة بـ ( إغفاءة العادل ) التي ألفها و التي كتبت في الحقيقة قبل اندلاع الثورة

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la colline oubliée, P 80.

<sup>2</sup> - Ipid p 59.

<sup>3</sup> - إبراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر ، ص 73 .

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

التحريرية و لو أن صدورها قد جاء بعد اندلاعها بحوالي سنة كاملة ، فقد جاءت كردة فعل على الاتهامات التي وجهت له حينما أصدر روايته الأولى (الهضبة المنسية) و هي بالتالي تعتبر صفة في وجه من انتقدوه و دليل قاطع على وطنيته التي لم تكن بحاجة إلى دليل - في رأينا- و هي في الحقيقة أفضل جواب على منتقديه.

فهذه الرواية جاءت لتفضح همجية الاستعمار و تزيج الستار عن الأكاذيب الفرنسية و الغربية حول مبادئ الحرية و الأخوة و المساواة لذلك أثارت إعجاب الكتاب و النقاد و المثقفين الوطنيين على حد سواء.

و قد أشاد الدارسون و النقاد بما تحمله هذه الرواية من مضمون وطني و من أفكار ثورية و لذلك اعتبرت أعظم ما أنتج في تلك الحقبة الزمنية.

و هي رواية تدور أحداثها في قرية " إيغزر " بمنطقة القبائل حول أب له ثلاثة أبناء ، أحدهما يدعى "مخد" الذي كان عاملا بمصانع "رونو" بفرنسا إلا أنه وقع فريسة لمرض السل وهو ينتظر أجله و الثاني يدعى " سليمان " وقد اعتنق أفكار الوطنية و الجهاد و الاستقلال فيعمل على نشرها في القرية و ذلك بتأسيس فرع للكشافة الإسلامية سمي بفرع " ابن خلدون " وقد اكتمل وعيه السياسي بخروجه من القرية إلى نواحي " البويرة " و قاداته المصادفات حتى نواحي " سطيف " حيث عمل كأجير بأجر زهيد لا يسمن و لا يغني من جوع في الحقل الزراعي الشاسعة و أثناء هذه الرحلة التي قاداته إلى خارج "إغزر" التي كان يعتقد أنها مركز العالم اكتشف "سليمان" حقائق مرة عن الجزائر و عن استغلال الفرنسيين لخيراتنا و قهرهم و إذلالهم لأبنائها فقد تأثر بصديقه " الوناس " الذي كان بمثابة الأستاذ الذي يجيبه على كل أسئلته الحائرة و قد جعله " الوناس " يغير الكثير من أفكاره التي يحملها في ذهنه عن العداوات القبلية و عن الصفوف و أفهمه ما معناه أن الصفوف موجودة حقا، ولكن بشكل مخالف لتصوره ، فهناك صف المستوطنين الأوربيين من جهة، و صف الجزائريين من الجهة الأخرى، بمن فيهم " رابح أوحملات " نفسه الذي يصنفه عادة في الصف المنافس ، و ابن عمه " تودرات " رغم ما بينهما من عداوة و منهم أخوه "ارزقي" ، رغم ما تفوه به من كلام عن الذات الإلهية جعلت ناس القرية يعتبرونه " روميا "

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

كافرا<sup>1</sup> لقد سأل " سليمان " " الوناس " عن أسرته و قبيلته فأجابته : " أنا جزائري " و لم يضيف شيئا آخر وقد عاد سليمان إلى القرية و هو يحمل كل هذه الأفكار الجديدة و تصور جديد لما ستكون عليه حياته في القرية و مخطط واضح لما سيفعله ، سينخرط في خلية حزب بـ "إزغر" ، و سيتزوج "الياقوت" ابنة "رابح أوحملات" و سيعمل في حقل آبائه ، و سيسعى لتحقيق أمله الكبير<sup>2</sup>.

و لكن هيهات أن تسمح له الظروف إذ يتحول عن الطريق الصحيح الذي هو النضال ضد المستعمر إلى الانسياق في طريق الصراعات القبلية التي يؤجج نارها الاستعمار الفرنسي و لا يستفيد منها إلا هو .

أما الابن الثالث فاسمه " أرزقي " الذي طرده أبوه من البيت لتأثره بمعلمه الفرنسي الذي حاول إبعاده عن الإيمان بالدين و الوطن ، يقول " أرزقي " جهرا : « إنني لا أكثرث لا بالشيطان و لا بالله »<sup>3</sup> و هو يتعارض بذلك مع أفكار والده الذي يمثل النظام و استمرار القيم التقليدية هذه التي يرفضها "أرزقي" جملة و تفصيلا إذ يقول: « آه ، لو تعلمون كيف أسخر من عالمكم الضيق .. »<sup>4</sup>.

ما يدل على رفضه نمط الحياة الذي يعيشه سكان قرية " إزغر " لكونه " غير ذات معنى، و نسيج من الأوهام<sup>5</sup> كما يكشف رفضه هذا عن شدة تأثير الحضارة الغربية على عقليته التي تلقت تعاليمها و علومها بالمدرسة الفرنسية « كان علي أن أقوم كل يوم باقتلاع جزء من شخصيتي القديمة، و لم أكن أتصور أن الأمر بهذه الصعوبة »<sup>6</sup>.

إن هذه التصرفات و غيرها جعلت أبوه يغضب عليه أشد الغضب و يطلق عليه عيارا ناريا من بندقية الصيد،

1 - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, Ed, Plon, Paris, 1955, p 74.

2 - Ipid, p 116.

3 - Ipid, p12.

4 - Ipid, p 135.

5 - عائدة بامية أديب ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1925-1967 )، ص 116.

6 - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p 132.



## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

لقد كانت تلك الطلقة النارية هبة من السماء - بالنسبة لأرزقي - حررته من تقاليد القرية ، فهاهو يقول لصديقه "مدور" : « كنت قد ضقت ذرعا في "إغزر" بما فيه الكفاية و ضقت بالموت البطيء يوما بعد يوم وكان سيأتي علي يوم لو بقيت على تلك الحال ، أغادر فيه الدنيا هكذا دون أثر و دون أن أكون قد لعبت و لو جزءا يسيرا من دو و نحن في عز القرن العشرين »<sup>1</sup> فيهرب بذلك "أرزقي" إلى قرية ( تازقا ) عند عمته و منها إلى الجزائر العاصمة حيث يواصل دراسته في معهد المعلمين لمدة عامين و يصادف تخرجه مباشرة نزول قوات الحلفاء في الجزائر في نوفمبر 1942 فيجند في صفوف الجيش الفرنسي ليرحل إلى فرنسا بعد تسريحه من الجيش .

لقد واجه الوالد مشاكل كبيرة مع الحاكم ( المتصرف الإداري للمنطقة ) ، إذ وجد نفسه محل مساءلة و اتهام و تهديد حينما مثل بين يديه بحيث أبلغه الحاكم أن أسرته كلها تحمل أفكارا سوداء ضد الإدارة و خاصة ابنه سليمان الذي انضم إلى حزب يقال له " حزب الشعب " يتكون من مجموعة من الجائعين ، يساعدون ثوارا يطلق عليهم صفة " الوطنيين " هم في الحقيقة ( ليسوا إلا قطاع طرق ) ، و أفهمه : « أنه كان في استطاعته أن يقبض عليه أي على ابنه سليمان و يزوج به في السجن ليقضي بقية عمره فيه ، و لكنه أشفق على شبابه الغض و أثر قبل أن يفعل ذلك أن يلجأ إلى الأب أليس الأب هو المسؤول الأول عن العائلة ؟ »<sup>2</sup> و لم تتوقف تهديدات الحاكم ووعيده عند هذا الحد و لكنه أبى إلا أن يذله و يذيقه المزيد من القهر فانتزع منه بطاقات تموين الأسرة و حرم أفرادها من الحصول على ما يسد رمقهم من الحاجات ، و حينما سأله الأب عن الكيفية التي سيحصل بها على المؤونة أجابه عن طريق المترجم : « يقول لك : اذهب إلى رئيس الحزب الوطني و اطلب منه الخبز »<sup>3</sup> و لم يترك الحاكم الأب يغادر حتى بعث في طلب سجلات الضرائب و أمر الأب بدفع دينه فاعتذر هذا الأخير حتى يرهن أرض " تيمزريت " التي تمتلكها زوجته أو يبيعهها، فسأله الحاكم لم لا ترهن بيتك لابن

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p 79.

<sup>2</sup> - Ipid, p 28.

<sup>3</sup> - Ipid, p 28.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

عمك " تودارت" ؟<sup>1</sup> ما جعل الوالد ينهار أكثر و قد طلب من الحاكم السماح له بالجلوس إلا أن هذا الأخير قد رفض و تابع مهددا : « إنك بالنسبة للإدارة لست إلا دودة يمكنني أن أسحقها لولا خشية الرب ، أما أبناءك أبناء صلبك الذين أنشأتهم على عداة فرنسا فإنني أقول لك حذار »<sup>2</sup> .

و خرج الأب من مكتب الحاكم مهموما ، مكسورا ، ذليلا و هو الذي كان يفكر بسداجة بشرح وضعية " محمد " الحرجة للحاكم لعله يساعده بمنحة شهرية تحفف عليه مصابه ، كما كان ينوي أن يطلب منه إدخال ابنه الأصغر " سليمان " إلى مدرسة مهنية لتخريج البنائين<sup>3</sup> لكن سرعان ما تبدد كل ذلك حينما عرف سبب الاستدعاء و سرعان أيضا ما أخذت الأوضاع منحى آخر بعيدا عما كان يأمله الجميع فهاهو " محمد " المريض ينفذ مخطط انتقام والده من ابن عمه "تودارت" بسبب وشايته بنشاط " سليمان " الوطني لدى الحاكم الفرنسي ويقتل " تادورات" الذي ازداد نفوذه حينما عين أمينا جديدا للقرية و أصبح مسؤولا عن التموين و أصبح في إمكانه التحكم في كل شيء و في أي شخص في القرية حتى في ابن عمه الذي رهنه منزله ليتمكن من دفع ما عليه من ضرائب ، لقد صار بمقدوره إخراجه من منزله وقتما يشاء . و بعد تنفيذ الانتقام بفترة توفي " محمد " وقد وجهت أصابع الاتهام إلى " أرزقي " الذي عاد من باريس إلى القرية بعد الرسالة التي أرسلها له أخوه " سليمان" يشرح له الوضع المزري للقرية و يطلب منه أن يبحث له عن عمل بفرنسا و أن يعود إلى القرية « لمراقبة والده وأخيه و منعهما من ارتكاب حماقات»<sup>4</sup> .

لقد تعمد " معمري" أن يبين في روايته أن ثقافة " أرزقي" و ذكائه و مشاركته في الحرب للدفاع عن العلم الفرنسي لم تشفع له عند العدالة الاستعمارية بل على العكس تماما قد انقلبت ضده و تحولت إلى أمور تدينه، ليحكم

1 - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p 28.

2 - Ipid, p 29.

3 - Ipid, p 19,20.

4 - Ipid, p 74 .

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

عليه في الأخير بعشرين عاما سجنا<sup>1</sup>، و قد شعر " أرزقي " بمدى كذب القاضي الفرنسي و سفسطته حينما خاطبه قائلا : « إن أساتذتكم مكنوكم من التوصل إلى حقيقة العالم و حقيقة أنفسكم و لكنك أنت وحدك الذي انغمست في ظلام دامس بهذا العمل السخيف »<sup>2</sup>، فأصبح مؤكدا عند " أرزقي " « أن كل من القانون ومطبقي القانون يغطون في سبات عميق و نوم طويل فمن الطبيعي أن يرقد العادل بعد أن نام العدل »<sup>3</sup>.

كما تعتمد أيضا " مولود معمري " من خلال شخصية " أرزقي " فضح التمييز العنصري بين المجدد المنحدر من أصل أوربي و بين المجدد الأهلي ( الجزائري ) ، فالأسبقية دائما للأول في كل شيء من الأشياء العادية كالأسبقية في دخول المطعم ، إلى إسناد المسؤوليات و توزيع المهام العسكرية ما دفع بـ " أرزقي إلى الشعور بخيبة أمل كبيرة أمام رئيسه الذي صرح له أن « اللوائح تقول بالأسبقية للأوربيين » و أنه ببساطة « لا يفعل شيئا سوى أنه يطبق اللوائح »<sup>4</sup>.

لقد اكتشف " أرزقي " بمرارة أن كل ما حفظه من أساتذته عن المبادئ و القيم الإنسانية السامية مثل الحرية والعدالة و المساواة و الأخوة لم يكن إلا زيفا و كذبا و أحس أنه كان مخدوعا و سادجا و قد كلفه احتجاجه في الجيش على تلك العنصرية السجن الانفرادي عدة مرات بحجة عصيان رؤسائه ، و من هنا فقد إيمانه بكل القيم و أصبح يشك في كل شيء و مال في سلوكه إلى السخرية و في تفكيره إلى العدمية والسوداوية التي أدت به إلى حرق كتب " نيتشه، راسين ، باسكال ، روسو ، شكسبير ، جوريس " وغيرهم بل و يتبول عليها مخمورا ، يقول أرزقي: « إنني أتبول عليها مخمورا »<sup>5</sup> و دائما من خلال نموذج " أرزقي " قام الكاتب بفضح بعض رؤساء الأحزاب الذي يدعون الوطنية و من بينهم الدكتور بلخوجة " الذي تبين لـ " أرزقي " أنه من النوع

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p 253.

<sup>2</sup> - Ipid, p 252.

<sup>3</sup> - Ipid, p 252.

<sup>4</sup> - Ipid, p 125.

<sup>5</sup> - Ipid, p 137.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الانتهازي المنافق الذي يتظاهر بالتضحية في سبيل القضية الوطنية في حين أنه كان يجيا بجبوحه العيش على حساب الحزب و يدفع بالمناضلين البسطاء إلى ركوب المخاطر و ارتكاب أعمال يعاقب عليها القانون<sup>1</sup> كمحاولة توريط " أرزقي " بالتزوير ليختم الكاتب روايته بالعبارات التالية على لسان بطله : « إنه شيء جيد على أية حال أن يتبع نوم العدل نوم العدالة لكن ما أهمية نوم ليلة أو يوم بالنسبة إلي أو إلى الآخرين بل ما أهمية نوم عام ، إن الموت وحده هو الذي لا نستيقظ منه ، إنني أسمع مفاتيح السجن الذي لا بد أنه قادم لكي يفتح الباب لي ، إنه صباحي ، إنه يجب أن يموسق مشيته بقرعة مفاتيحه ، إن القافلة ستنتقل بعد قليل ، هذا كل شيء على ما أعتقد<sup>2</sup> .

إنها قناعة الكاتب نفسه أن الظلم مهما طال فإن مرتعه وخيم و أن العدل مهما غاب لا بد أن يعود إلى نصابه يوما ما و لا شك أن " معمري " في هذه الرواية يشير أيضا إلى استحالة التعايش بين الشعب الجزائري و الفرنسيين الذين احتلوا أرضه و هذا أهم مظهر من مظاهر وطنيته و تشبعه بقيم مجتمعه و أفكاره ووعيه الكبير بما يصلح لبنائه و استمرار يته و لعزة شعبه و كرامته.

### I-3- رواية الأفيون والعصا L'opium et le bâton

و في هذه الرواية التي نشرها الكاتب مولود معمري عام 1965 ، والتي تغنى فيها بحرب الاستقلال بمحاسنها ووعبها ، بأصدقائها و أعدائها<sup>3</sup> ، قدم الكاتب صورة واقعية لما يحدث في الجزائر و لم يستطع كاتب قبله حسب النقاد أن يعطي صورة عميقة دقيقة للحياة اليومية التي تؤثر عليها أحداث حرب التحرير ، فهي أكثر رواياته تماسكا ووضوحا و قد بنيت على خطوط فاصلة بينة فعلى جانب يقف المقاومون الجزائريون و على الجانب الآخر

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p 181.

<sup>2</sup> - Ipid, p 254.

<sup>3</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1925-1967 )، ص 73.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

يقف الجيش الفرنسي و بينهما يقف الشعب الجزائري متمثلا في سكان " تالة" و يتحرك الكاتب بين هذه الخطوط بصورة بعيدة عن الجمود .

لقد علل " معمرى" تأخر ظهور الرواية بقوله : « أعتقد أن إنتاج كتاب قيم يتطلب من الكاتب نوعا من التسرب إلى داخل الأحداث و لا يتم ذلك إلا بعد مرور فترة من الزمن عليها لان النظرة إلى داخل الأحداث تحتاج إلى بعد زمني معين و هذا رغم ما في هذا المبدأ من تناقض<sup>1</sup> .

و قد رسم " معمرى" في هذه الرواية أيضا صورة تغير المفاهيم و العادات و التقاليد و الحياة اليومية كما نجح في إعطاء صورة حقيقية للمجتمع الجزائري بجميع طبقاته و لم يستطع كاتب بهذا العمق أن يصور تلك المعاناة النفسية التي يعيشها الفرد الجزائري العادي و الفرد المثقف البورجوازي الصغير كما صورها لنا " معمرى" و بهذا استحق التقدير على هذه القوة الفنية الإبداعية في التصوير النفسي لشخصيات روايته و يتجلى إبداع "معمرى" في تصويره الدقيق الواقعي للمأساة و لجميع من عاشها سواء كان خائنا أم بطلا.

و تعتبر هذه رواية ( الأفيون و العصا ) مرحلة جديدة من مراحل تطور القصة الجزائرية الحديثة، إذ جسدت واقع الشعب و عرته و بذلك فالإتجاه السائد في الرواية هو الإتجاه الواقعي و هي ظاهرة بالغة الأهمية في النشر الواقعي الجزائري في عهد الاستقلال .

كما صور فيها " معمرى" دور المثقف أثناء الثورة المسلحة ممثلا له بالبطل الرئيسي الطبيب " بشير" و المعلم "رمضان" العدو الفكري العنيد لـ "بشير" ، و تدور أحداثها في إحدى قرى منطقة القبائل تسمى " تالة" و تروي جهاد سكانها للاستعمار الفرنسي و القمع الهمجى الممارس ضد شيوخها و نساؤها و قد بلغ هذا القمع إلى درجة تدمير القرية بأكملها عن بكرة أبيها ، و تهدم المنازل على رؤوس سكانها<sup>2</sup> و قد أرأراد البطل في البدء أن يبقى محايدا و لكن أحداث الثورة جرفته فقفل راجعا إلى قريته "تالا" بهدف الالتحاق بصنوف الثورة تاركا

<sup>1</sup>- عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ص 140.

<sup>2</sup>- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها، ص 111.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

حياة الترف بالعاصمة ف "تالا" هذه القرية التي تحاصرها الجبال لا يمكن إلا أن تكون فوهة بركان للثورة و الجهاد و لا يمكن لسكانها إلا أن يكونوا مشاركين شرسين فيها كباقي سكان الجزائر، فقد وجدوا أنفسهم أمام وضع جديد يعيشون « مشاعر نفسية مضطربة مؤلمة ، كانت الحرب تثقل بوطأها على الأشياء ، فتجعلها أكثر اختصارا و أكثر كآبة ، حتى إذا انتهت الحرب و عاد من الشبان من كتب لهم السلامة ، راحوا يحملون سخطهم و قلقهم على مستقبلهم ، فعادوا إلى الهجرة إلى أوربا بحثا عن لقمة العيش ففرغت الأسواق من صخبهم القوي العنيف، و لم يعودوا يتربصون للفتيات حينما كن يرحن و يجئن في الماضي يفرغن جرائهم في أوعية مثقوبة و لما حرمت العين و الدروب من ضحكات الفتيات و عبهن أضحت كثيفة هادئة كحياة الشيوخ»<sup>1</sup> .

و يميظ الكاتب في هذه الرواية اللثام عن الممارسات اللاإنسانية للمستعمر الفرنسي و يدحض دعاية فرنسا المتعلقة بالعدل و المساواة و حقوق الإنسان ( فرنسا بلد حقوق الإنسان ) ، فالرواية صورة عن فظاعة الحرب والآلام التي تجرعتها شعب بأكمله لسنين طويلة تحت نير الاستعمار تجسدت أيما تجسد في معاناة " أكلي " و هو مجاهد في صفوف جيش التحرير، تصيب شظية ذراعه بعد انفجار قبلة وضعها الجيش الفرنسي " ذراع أكلي يتدلى ، إنه يضايقه لكي يجري قبل أن يخرج من المنازل الأخيرة لـ " تيغمونين " ، توقف ليتأمله ، كان العظم محطما ، أخذ أكلي سكينه و قطع الذراع دفعة واحدة"<sup>2</sup> إن هذه الواقعة تصور أقصى درجات الألم التي عاشها الشعب الجزائري عامة و المجاهدون خاصة في حربهم مع الاستعمار الفرنسي و يؤكدتها وصف الكاتب لمشهد اغتيال " عمر " و الذي ربما من خلاله إلى فضح أساليب المستعمر الفرنسي ووحشيته للعالم أكمل يقول الكاتب : « و فجأة سمعت صرخة وحشية ، و لفظت الطائرة كرة صغيرة مستديرة و كانت في البداية منطوية على نفسها ثم ظهرت لها أذرع و أرجل ، أخذت تتأرجح في كل اتجاه في الهواء و سط عمر»<sup>3</sup> .

<sup>1</sup>- فاروق يوسف اسكندر ، مولود معمري و صراع الجيلين ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد 35، يناير 1968، ص 88.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, l'opium et le bâton, Paris, Plon, 1965, p 138

<sup>3</sup> - Ipid, p180.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

كما يجسد " معمرى " في هذه الرواية نموذجين من الوعي : الوعي النقدي الذي يجسده الطيب " بشير " و الوعي الوثوقي الذي يمثله المعلم " رمضان " الذي ترعرع في نفس القرية مع الطيب " بشير " و قد نوه الكاتب بارتباط " رمضان " العميق بأكثر من ممثلي الحركة الإسلامية تعصبا و يردد مع " رمضان " أحد أنصار الإسلام المتحمسين :  
« المثقفون هم موضوعيا خونة الثورة و ينبغي قتلهم عن بكرة أبيهم »<sup>1</sup> .

كما عمد الكاتب إلى تصوير " رمضان " بعد أن غادر في طفولته مسقط رأسه و راح يقرأ الكتب بلا انقطاع، في خلوة عند عمه القاطن بالمدينة حيث أصابه مرض السل ، يصوره فاقدا لطبقته و مضيعا لهويته و لروابطه بالأرضية الطبيعية و لعل هذا هو سبب فراغه الروحي المتميز ، و قد أشار المؤلف إلى أن " رمضان " كان يجب أن يماثل نفسه بمن يسميهم " الشعب " ، ملمحا بذلك إلى الطابع الإصلاحى لهذا المفهوم على لسان بطله : « نحن غير متعلمين »<sup>2</sup> هكذا قال " رمضان " عن نفسه في رسالة إلى بشير ف " رمضان " يرى حوله إما رفاقا من الضروري حملهم من السخبط إلى الثورة و إما أعداء شريرين و بشعين يجب محاربتهم ...

لقد تعدى " معمرى " مجرد وصف النموذج لأن ذلك ليس كافيا - في نظره- و إنما اهتم بتوضيح خطره الاجتماعى زمن الثورة ، يقول " بشير " : « إنهم يظنون دائما أن الناس خلقوا ليمثلوا مبادئهم ، بينما الناس لا يليقون لذلك ، و يحصل هكذا دائما أن الناس ليفلتون من المبادئ التي أريد حبسهم فيها، و يصبح هذا الصنف من المؤمنين خطيرا، لأنه مستعد للحرق و الذبح و الخو من وجه الأرض و الإبادة في سبيل أن لا تهتك العقيدة »<sup>3</sup> .

فالكاتب قلق بسبب ذلك الإغراء الواضح و تلك التصورات السوقية التي يركن إليه أولئك الضعفاء روحيا، الذين تعبوا من المعاناة، أو أولئك الأفيونيين أو المجانين كما يسميهم "مولود معمرى".

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, l'opium et le bâton, p 70.

<sup>2</sup> - Ipid, p71.

<sup>3</sup> - Ipid, p 54.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

يقول "بشير" : « لم يكتفوا بإذلال الشعب ، بل زيادة على ذلك يحاولون أن يسخروا منه و أن يخادعوه، ويضموا الدركي إلى المشعوذ ، هذا احتقار للنفس ، و هو أيضا احتقار للطبيعة الإنسانية »<sup>1</sup>.

و هنا يبرز " مولود معمري " موقفه من النظرية الكاذبة و الوسائل التدجيلية التي لا تشفي من الأمراض اجتماعية بل تزيدها حدة .

و في ختام الرواية يقول " بشير " : « لم أعتز على الدواء ، لكنني سعدت إلى البرج لأنادي ، أنادي على المبرئ، فأنا أعرف أن أميزه من المشعوذ و إذا لم أشف من علاجه، فأنا واثق من أني لن أموت من أسوأ من ذلك »<sup>2</sup>.

و هذا ما يؤكد الهدف من الرواية التي ركز فيها أيضا الكاتب على معاني الصمود التي هي المخرج الوحيد لهذا الشعب الذي عانى من الاستعمار زمتا طويلا و من وسائله الخبيثة من أفيون تارة و عصا تارة أخرى و قد أراد الكاتب أن يجسد ذلك في شخصية الحكيم " محند " والد " رمضان " الذي ظل يلاحظ المصائب التي تعصف بالقرية الواحدة تلو الأخرى من هلاك الشباب في الحرب ، إلى الموت جوعا بسبب نفاذ المتونة ، إلى العمليات الانتقامية للجيش الفرنسي ... يقول " محند " : « في بعض الأحيان يجب الصمود فقط »<sup>3</sup>، إنها ثقافة الصمود التي يسعى معمري إلى نشرها في النهاية عبر كتاباته .

### I-4- رواية العبور La traversée

يعتبر "مولود معمري" رائد الثقافة البربرية و حامل لواء ثقافتها و قد عرف بنضاله من أجل الحفاظ على ثقافة الأجداد التي يجب و يدافع عنها بكل ما أوتي من وسائل معتبرا ذلك رسالة شريفة وواجب مقدس. إن كتابة روايته الأخيرة ( العبور ) منحه الفرصة لإثبات ذلك، فالرواية أتت بعد صمت طويل يبدو فيها منذ الوهلة الأولى المجتمع المدني الذي انتهى بالتشكل و بإيجاد نماذجه موصوفا بعناية و مصبوغا بمرارة.

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, l'opium et le bâton, p5.

<sup>2</sup> - Ipid, p 54 .

<sup>3</sup> - Ipid, p 54 .



## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و يستحضر " معمرى " في الرواية الصحراء للتأكيد من جديد على تمسكه بقيم الأسلاف، فنهله من اللغة والثقافة الفرنسية أثناء تدرسه لم يجعله يتنكر لأصوله و لكن على العكس تماما قد أثار وعي كبير بالقيمة العالمية لثقافته التي أحسن الحفاظ على أصالتها .

و تدور أحداث رواية ( العبور ) حول "مراد" مثقف ، أعزب ، ذو أصل قبائلي يعيش في الجزائر العاصمة وهو مجاهد سابق في الولاية الثالثة و صحفي في جريدة " الثورة " " Alger révolution "، كتب مقالا سياسيا بعنوان " عبور الصحراء"، يتحدث فيه "مراد" عن « القافلة التي استغرقت سبعة أشهر لعبور الصحراء بسبب عدة ظروف كالشمس و العطش و الجوع.و في كل الحالات كان الأبطال يمشون وحيدين و معتزين ويمضون أوقاتهم في نزع العراقيل التي تعاود الظهور و في الوقت الذي يتواجد فيه الأبطال في المقدمة لامبالين ، يسقطون مجموعات كاملة ، كان القطيع وراءهم منكمش لاهث من حرارة الشمس و الصوف و لكنه كان يحافظ كل الحفاظ على تماسكه . و قدر الأبطال هو أن يموتوا شبابا ووحيدين و لكن هرمين متشبعين و في مجموعة الأبطال يقفزون فجأة في الموت أما الخرفان فتتمسك بالحياة إلى آخر قطرة من الدماء.و من حين لآخر يولد أطفال وسط القافلة، تربطهم الأمهات إلى ظهورهن ليطبعنهم على الأواصر منذ الطفولة و يمتقتوا البطولة للأبد، يجب شفاؤهم من طعم الوحدة و الحرية، و لهذا فالأمهات الواعيات تجعلهم يتدلون في صدورهن كلما أتحت الفرصة ، كن يعرفن بحدسهن بأن الرجال الصغار المتعودين على دفء الصدر لا يستطيعون التحلي عن دفء القطيع و نسبة الذين يعضون الثدي و هم يصرخون كانت قليلة . كانت الأمهات تعرفن بأن هؤلاء يموتون مبكرا و عدد قليل يصل إلى المراهقة و يصنع أبطال المستقبل ، كن يعلمن على كل حال أنهن لا يستطعن عقد العزم عليهم لأنهم كانوا ضائعين منذ البداية. كانت القافلة تسير و في المقدمة الأبطال باللون البرتقالي، كانوا يحبون عن أنظار القافلة و كانت هذه الأخيرة تسرع الخطى للحفاظ على الاتصال و مرعوبة من أن تبقى يتيمة دونهم قبل الأوان وفي الوقت الذي كان فيه الأبطال منشغلين بالبحث عن الطريق أو تسويته أو خلقه أحيانا ... مجموعتهم المنشورة كانت تنكمش يوميا .

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الأبطال لا يأبهون بالعراقيل و لا يهتمون بشيء ، يذهبون بأسلحتهم فقط و حرارة في العروق ، كثيرا ما يتلعبهم الأفق و لكن القافلة تستطيع اتباع آثار بقايا الجثث المقطعة ، كان لا يروق أصحاب القافلة رؤية فرقة الأبطال تنكمش و كانوا يخططون لإزاحة الأواخر حينما يصلون إلى الأفق و الأدهى منهم كان يخطط لمساومة الأبطال ... ينبغي أن يبقى الأبطال لتمهيد الطريق حتى الواحة كما يجب عليهم الموت حتى يستطيع منهم أن يتنفس بينه و بين نفسه. لم يبق من الأبطال القدامى إلا حفنة، كانوا تائهين، مشتتين، يبحثون عن منفذ، كانوا يحاولون مساومتهم أو شراءهم و ينتهون بالموت بدون سبب أو الهروب من الواحة و تركها. و هذا خلق فراغا كبيرا في القافلة فسارعوا إلى ملئه و تعويض الأبطال بورثة ، هؤلاء سيوظفون الإيديولوجيين ، أما الشعب فلا يستطيع التفكير إلا سرا و يستخدم للمناسبات الكبرى ، للدفاع عن الحدود و لصندوق الزكاة ، المعارضون قلقون أمام العراقيل فينهضون لتحطيمها أو يتحطمون بها أما أصحاب القافلة فيبدون إعجابهم من بعيد باستهزاء لأنهم يعلمون بأن المعارضين يذهبون و القافلة تخلد»<sup>1</sup> .

لقد لاقى المقال انتقادا كبيرا من طرف رؤساء " مراد" و زملائه<sup>2</sup> ما دفعه لتقديم استقالته والتحضير للهجرة إلى فرنسا لكن سيشارك قبل سفره في آخر مهمة تكلفه بها جريدته إلى الصحراء مع مجموعة من زملائه الصحفيين . لقد كان التقرير المكلف بانجازه أقل أهمية بالنسبة إليه من اكتشاف الصحراء ، ولقد رأى - بدءا من وصوله إلى عين أميناس - أنها لم تعد مملكة الرمال و إنما مجرد مكان للآلات الميكانيكية و للغبار ، لقد انهارت الفكرة التي ظل يكونها عن الصحراء و باقي الأفكار التي كان يؤمن بها . وقد فقد أيضا باقي أفراد الرحلة أو هامهم عن هذا العالم و لم يتعلموا الكثير من تلك الرحلة إلى الصحراء التي شملت مناطق هي : الأغواط، غرداية، ورقلة، حاسي مسعود، عين أميناس، لتتوقف في جانت ثم تامنراست، و لتشمل في طريق عودتهم عين صالح، تميمون<sup>3</sup>

1 - Mouloud Mammeri, la traversée, Alger, -EL otmania, éd, 2005, p 26-31 .

2 - Ipid ,p 31,32.

3 - Ipid, p 32.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

لقد كشفت الرحلة عالمين: الصحراء التقليدية للبدو و الصحراء البترولية الإدارية و هذه الأخيرة هي التي طغت على الأفكار و المواقف بين أفراد الرحلة ما جعل هذه الأخيرة غير سياحية .

و يجدد "مراد" أثناء الرحلة علاقته بـ "أماليا" لكنه يقرر العودة إلى قريته ليموت هناك محمومًا، وحيدًا<sup>1</sup>، لقد ودع هذا العالم في الرسالة التي كتبها لأماليا يشرح فيها أسباب تخليه عنه<sup>2</sup> ثم عاد و مزقها .

لقد كان "مراد" فريسة لصراع نفسي حيث شعر أنه بدون قضية و أنه عاجز عن اجتياز الاختبارات المختلفة التي يواجهها وكان عاجزًا أيضًا عن الانتقال من عالم الثورة إلى عالم التنظيم ، فقد عاش تمزقاته و عزله وحيدًا، إن موت "مراد" هو نوعًا ما عجزه عن تقبل الواقع كما هو ، و هو إقرار باستحالة الرجوع إلى الوراء في الحقيقة .

و رغم استيعابه لقيم الثقافة الغربية لكنه ظل في أعماقه هشًا في علاقاته معهم، و لا يستطيع الذوبان في الآخر، إن "مراد" بابتعاده عن قبائل الأسلاف اعتقد أنه « ملتهب»<sup>3</sup> مع شعور مسبق بأن الله قد طرده من الجنة<sup>4</sup> ويعتبر بطل "مولود معمري" في هذه الرواية نموذج للإنسان الذي ترك مجتمعه و لكنه لا يستطيع الذوبان في آخر، فهذه العودة التي حققها "مراد" في نظر الكاتب قد يحققها جيل بكامله .

وتعود أماليا صديقتته و عشيقته - في نهاية القصة - إلى باريس دون أن تتمكن من أن تأخذ معها إلى الجهة الأخرى من البحر ، لقد أظهرت له أحلامه أنه لا يستطيع أن يكون في المهجر ، إنهما لم يعدا في نفس الجهة أو الجانب ، كما لم تتمكن "تامازوت" صديقة طفولته أن تنقذه من اليأس و الموت و يعتبر "طاهر جاووت" أن "مراد" صورة للكاتب<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 54.

<sup>2</sup> - Ipid, p 178,181.

<sup>3</sup> - Ipid, p 179.

<sup>4</sup> - Ipid, p 137.

<sup>5</sup> - Taher Djaout, Entretien avec mouloud Mammeri, la cité du soleil (inédit), itinéraire 163.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

ويكشف " العبور " أو هذه الرحلة إلى الصحراء عن شخصيات أخرى مختلفة و متباينة، تشارك جميعها في نسج أحداث القصة و تطورها و هي:

✓ **كمال**: رئيس الجريدة و يعتبر نموذج مناقض لشخصية " مراد " تماما وهو يكون معه ثنائي خاص ومختلف من حيث صفات كليهما ، إنهما يشكلان ثنائية خاصة و متناقضة العناصر : حضاري / ريفي / عربي / بربري، الحاضر/ الماضي ، القوة/ الضعف ، المادية/ المثالية، الدنس / النقاء... الخ .

ويعتبر " كمال " ابن النظام و ذا علاقات رفيعة و قوية نقلته من صحفي بسيط إلى رئيس جريدة يتمتع بحياة رغدة ، حريص على أن يستمد جميع الأرباح الممكنة من المجتمع ( امتلاكه لعدة منازل في مناطق مختلفة بالعاصمة) و يصوره الكاتب منافقا ، مراوغا ، مخادعا و أنانيا يضمح حقدا و كرها لـ "مراد" وهو يجيحي حياتين متناقضتين : الأولى مع زوجة جزائرية " زينب " بباب الواد و الثانية مع زوجة فرنسية "كريستين" بجيدرة، تزوجها أثناء الثورة التحريرية بـ "ليون" <sup>1</sup>.

و التحقت بجزائر الاستقلال و هي تدرك الصعوبات التي تنتظرها<sup>2</sup> إن فشله و إخفاقه في علاقته بـ "كريستين" يمثل في الحقيقة إخفاق العلاقة بين الجزائر و فرنسا حسب الكاتب .

✓ **بوعلام** : صحفي إسلامي عريق يتردد مرتين في الأسبوع على شقة "جمال" حيث تقام حلقات دينية خفية ويخبر هذا الأخير بكل ما يجري في الصحيفة و تعليقات الموظفين على مقالاته...«كان خطاب جمال يحمله كموجة بحر يلفه ، يعصره بالشك و الخوف...»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Taher Djaout, Entretien avec moulood Mammeri, la cité du soleil (inédit), itinéraire, 163, p 22.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 167.

<sup>3</sup> - Ipid, p 39-40.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

استسلم " بوعلام " للرقص و لسحر "أماليا " و إغرائها أثناء الرحلة - بعد أن كان يشعر بالكراهية اتجاهها لا لشيء إلا لأنها كانت جميلة جدا ، فرنسية ، و حرة - و انتهى به المطاف إلى استهلاك مشروبات كحولية فور عودته من الرحلة لشعوره بالذنب.

✓ **جمال اسطنبولي** : رجل متعصب ، يرمى مشروع الجهاد الإسلامي عن طريق اجتماعات يعقدها خفية في شقته مع مجموعة من شباب الحي و يكون تأثير كلماته عليهم كتأثير السحر، ليقوموا هم بدورهم بتأطير أشخاص آخرين من الجنسين لينتقلوا فيما بعد إلى أفعال العنف مستخدمين إن لزم الأمر السلاح .

✓ **Serge**: صحفي فرنسي، شيوعي، تصريحاته و تحليلاته للوضع العسكري و العمالي بالجزائر<sup>1</sup> تطرح الكثير من الأسئلة عن طبيعة مهمته في كنف صحيفة جزائرية كبرى؟ يتأمر طوال الرحلة مع "بوعلام" ضد "مراد" للتقليل من شخصيته بدافع الغيرة ،ناهيك عن انتقاداته لحياة سكان الجنوب و ل " با سالم" و يقدم النص "سارج" كتنقيص أيضا لـ " مراد " ييقينه ووعيه الجيد ، كما يشير إلى تشابهه الخفي مع "بوعلام" رغم اختلافهما وكراهيتهما لبعضهما البعض فكل ما يجبه يراه في عيني بوعلام ، اليقين الأعمى للحصول على الحقيقة و التصرف الكامل للعمل لأجلها .

✓ **أماليا Amalia**: و تنحدر من أسرة فرنسية أرستقراطية، تأتي إلى الجزائر بعد مقتل خالتها " الأخت آن ماري " على يد الجيش الفرنسي بسبب إسعافها لبعض المجاهدين الجرحى بالجليل ،فتتعرف " أماليا " بذلك على " مراد " وتبدي استعدادها لمساعدة جبهة التحرير الوطني في حدود إمكانياتها فيكلفها " مراد " بمهمة نقل حقيبة من المنشورات إلى باريس و لكن يتم اكتشاف أمرها و يتم القبض عليها وسرعان ما يطلق سراحها بسبب تدخل والديها و حادثة اغتيال خالتها المشينة فترحل إلى فرنسا لتعمل في جريدة، بينما يسجن " مراد" لمدة عام و يوم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 38, 39.

<sup>2</sup> - Ipid, p43.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و تعود " أماليا" إلى الجزائر بعد الإستقلال حينما تكلف بانجاز تحقيق عن البترول الجزائري، من قبل الجريدة التي تعمل بها " Plaisir de France " لتعاود الالتقاء بـ " مراد " الذي يعيش معها لحظات حميمة قبل الرحلة على شواطئ زالدة<sup>1</sup> و يعاودا الالتقاء بعد نهاية الرحلة في نفس المكان في مشاهد مكررة<sup>2</sup> وترتمي أماليا في أحضان " سارج " بعد " مراد " وتعود إلى فرنسا مصطحبة " هذا الأخير معها وهي تشعر بمشاعر الإشفاق على "مراد" الذي راح ليودع القرية قبل السفر إلى فرنسا و لكن ينتهي به المطاف بتغيير رأيه و الموت هناك .

✓ **سعاد :** تمثل " صوت الحق " في الرواية و هي شخصية أخلاقية ، ثرارة ، تتابع قصص الحب التي تراها تحب من حولها و مسرحها الصحراء « كل شيء احترق في نار الصحراء »<sup>3</sup> هكذا كتبت سعاد في دفتر مذكراتها ، إن وجود " سعاد " في الرواية يعطي توازنا أمام تهور "أماليا" ، تلك « المرأة بلا تاريخ و الأسيرة ربما لحرية كبرى »<sup>4</sup> ، تعتبر "سعاد" رمز للعقل الحاضر في الرواية و المنطق.

✓ **با سالم :** الذي يعني أب السلام و الذي يعتبر نموذج واقعي و سيد " أهليل " المطلوب من طرف سكان القرية لإحياء سهراتها ، يعتبر "با سالم" ذاكرة القرية و خزان تراثها ، أمثالها ، أقوالها ، و أشعارها كان يحيا حياة بئسة مع زوجته و أطفاله الذين لا يجدون ما يسد جوعهم ، لقد كان هذا حال الجميع أيضا<sup>5</sup> أهليل بالنسبة إليه « كان مثل عباد الشمس لا يفيد في شيء لكن با سالم لا يستطيع العيش دونه »<sup>6</sup> ولكن موت زوجته جعله يهجر كل ذلك ليرقد عند ضريح سيدي عثمان بدون أكل أو كلام ينتظر موتا يرى فيه "ميلدرد

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 42,43.

<sup>2</sup> - Ipid, p 174, 175.

<sup>3</sup> - Ipid, p 126.

<sup>4</sup> - Wadi Bouzar, Lecture maghrebines, Alger - OPU, Paris, - Publisud, 1984, p 180 .

<sup>5</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 92.

<sup>6</sup> - Ipid, p 82.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

مورتيمر<sup>1</sup> تنبؤ يموت " مراد " في الرواية. و قبل أن يموت " با سالم " وحيدا على جانب الطريق الشمالي أنشد "أهليله" الأخير حينما شعر بقرب أجله مودعا به أصدقائه، و عن طريق شخصية " با سالم " يشير "معمرى" إلى تقاليد منطقة "قورارة" المهدة بالزوال ، فهذا الرجل رحل عن هذا العالم حاملا معه جزءا مهما من تاريخ وروح شعب الصحراء.

و "با سالم" في الحقيقة هو الشخصية المرجعية التي تعود إلى شخصية مشهورة في عالم "أهليل" بالقورارة و التي تمكن " مولود معمرى " من خلالها إثارة الخطر المهده لثقافة الجنوب حين تقلص - أهليل - في تظاهرة فولكلورية بسيطة و موته يمثل نهاية حقبة و نهاية مجتمع كما يرسم الكاتب و يتزامن موته مع نهاية الرحلة .

و يتوقف " مولود معمرى " مطولا عند "أهليل" - من موقعه كباحث - و الذي كان يسمى سابقا " ازلوان" و هذه اللفظة لها عدة معان من بينها " رجال الليل " لأن هذا اللون يغنى ليلا ، في حين يعطيه البعض مفهوما دينيا من خلال ربطه بلفظة " تهليل " التي تعني في اللغة العربية "تمجيد الله" و هو أيضا نصوص وطنية تغنى أثناء الثورة التحريرية و تعرف الأهالي و تمدهم بمعلومات عن الوطن المحتل و عن الثورة التي يقودها المجاهدون ضد الاستعمار الفرنسي<sup>2</sup> كما تغنى في الاحتفال بالمولد النبوي .

و يعرف " مولود معمرى " أهليل " على أنه « تظاهرة موسيقية أدبية راقصة يحتفل بها كعرض علماني وحفل ديني في نفس الوقت ... »<sup>3</sup> ، "أهليل" الذي يأخذ "مراد" كلية و يحمله ليضعه على شاطئ جزيرة مجهولة ومأهولة بالأزهار و العطور<sup>4</sup> و من خلال عرض مضمون الرواية يمكننا اعتبار " العبور " طريق شخصية " مراد " المؤدي به من العاصمة إلى الصحراء ليقوده في النهاية إلى قريته " تازغا " حيث يموت، إن هذا الأخير يصنع من

<sup>1</sup> - Mildred Mortimer, the désert in africain " L'esprit créateur, vol XXXVI, n1,spring 1986,p68 .

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, Extraits de la revue Lybica,Ahellilly,pdf-AdobRaeder .

<sup>3</sup> - Ipid.

<sup>4</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 127 .

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الرواية طريقا إلى الموت مملوءا بالحيات و الفشل ، إنها مسيرة بطل تعود به إلى نقطة الانطلاق الأولى، و تغلق الرواية بذلك في مكان مغلق<sup>1</sup>.

كما يمكن رؤيته هذا "العبور" من جانب مزدوج : العبور الرمزي المذكور في مقال "مراد" و الذي أدى به إلى تقديم استقالته ، و العبور الحقيقي الخاص برحلة مجموعة من الصحفيين إلى الصحراء، ملتقين أهلها مارين بهم دونما أن يروهم في الحقيقة . و مهما يكن من أمر فهذا "العبور" الذي جعله الكاتب عنوانا للرواية يشكل النواة المركزية فيها .

و "العبور" من جهة أخرى هي مسيرة الجزائر نحو الاستقلال و نقد سياسي للمجتمع الجزائري، إنها تبدو تقليدية في طريقة بناء و نسج الكاتب لها بحيث تستحضر مناظر و نماذج معروفة ( البورجوازية الجديدة التي تقول بتدينها و تعيش كالغرب ، شخصيات الصحافة أو الحرب ، رجال الأدب و الإدارة ، نموذج الصحفية الفرنسية صديقة الثورة في الماضي و التي أصبحت فاتنة الرجال في الحاضر أيضا ...) و لكنها مأساة عصرية سوداوية ذلك أن الكاتب لم يترك لبطله مهريا من يأسه و هو بذلك يقدم تقريرا تفصيليا عن الواقع الجزائري ، و ينضم إلى فصيل المنتقدين للواقع السياسي و الديني كـ "رشيد بوجدره" ، "عبد الحميد بن هدوقة" ، "الطاهر وطار" وغيرهم ...

إن رواية ( العبور ) بمضمونها و عناصرها و فنياً تقودنا إلى مقارنة مع رواياته السابقة لها، فهي تلتقي معها كلها وتتناص معها في الكثير من الجوانب لاسيما ( الهضبة المنسية )<sup>2</sup>. فرواية (العبور) تفتح إذن على جزائر الاستقلال، بنياتها و بروجوازيها الجدد، « ماهو البورجوازي الصغير؟ إنه من يريد أن يصبح كبيرا »<sup>3</sup> ، بسواها

<sup>1</sup> - Afifa Bererhi , " La traversée ou la remontée vers soi " ,Itinéraires et contacts de culture, vol,15-16,1-2trim,92,Paris, L'Harmattan,1993,p66.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri ,la traversée, p164 .

<sup>3</sup> - Ipid, p 156.



## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الذين هم بدون خيال ... و برجالها الجدد ، الذين أغلقوا الأبواب وراءهم و لا يفتحوها إلا لمجموعة صغيرة حتى يشبوا أن الديمقراطية موجودة في الجزائر.

كما تفتح على لوحة الأنتلجنسيا التي لا تعطي ألوانا وردية وعلى صورة الإداريين الذين التقى بهم " مراد " بالجنوب ، و البيروقراطية التي يصفها بـ " الكارثية " .

كما تطرق الكاتب في ( العبور ) إلى ظروف سكان الصحراء و أزمة البدو الراضين للإدماج، الذين يعبرون بمشقة و تبدد للشخصية الممر بين الزمن الاستعماري و الزمن الوطني، بين الأصالة و المعاصرة ، مجتازين اختبارات شتى ، إنهم ضحايا سراب من نوع جديد حسب الكاتب .

(العبور) هي أطفال الصحراء الذين يلمون أن يصيروا سائقين لأن هذا يعني : « الذهاب حيث نريد »<sup>1</sup> « ويهرون من المدارس الداخلية »<sup>2</sup> معرضين أنفسهم للموت عطشا في الصحراء ، ( العبور ) هو « مجموعات من المعلمين العاجزين أو الخرق ... »<sup>3</sup> الوافدين من الشمال لتعليم الأطفال إذ لا يوجد معلم واحد من الجنوب والمؤهل الوحيد بينهم ليكون " صحراويا"<sup>4</sup> هو ذاك المعلم الفرنسي بسبب لباسه الصحراوي ...<sup>5</sup> و قره من الأطفال عكس المعلم المصري الملوح بعصاه<sup>6</sup> أمام التلاميذ ، ما يجعل من المدارس مكانا بلا معنى بل سجننا يسعى إلى توطين البدو و تعريب البربر و هو ما لم يقله الكاتب صراحة ولكن يظهر مع ذلك<sup>7</sup> بين أسطر الرواية.

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 90.

<sup>2</sup> - Ipid, p 86.

<sup>3</sup> - Ipid, p 165.

<sup>4</sup> - Ipid, p 91.

<sup>5</sup> - Ipid, p 75.

<sup>6</sup> - Ipid, p 88.

<sup>7</sup> - Ipid, p 76.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

كما تحدث عن مكانة الحرية عند البدو و منزلة الصحراء في نفوسهم « إن الصحراء منسوجة في جلودهم »<sup>1</sup>.

ف ( العبور) أعطت الفرصة للكاتب لتطوير مواضيع جديدة لها علاقة بانشغالات مباشرة خاصة ظهور أشكال

جديدة لاستغلال الموارد البترولية و غيرها و التي تتضمن الغنى لسكان الجنوب الذين يعيشون عكس ذلك تماما

و تعد شهادة هامة لا تمكننا فقط من فهم سكان الجنوب و لكن من شرح الأحداث المأساوية التي تعيشها حاليا

هذه المنطقة من الجزائر و هذا يجعلنا نعتبر الكتابة عند "مولود معمري" فعل للتضامن التاريخي<sup>2</sup>.

إن ( العبور) ليست رواية "معمري" فقط و إنما هي رواية المثقف البربري المتواجد داخل مجتمع معظمه من

العرب و لقد صنفت أعمال "مولود معمري" بالأمس في خانة " الأثنولوجي " و " الوثائقي " و تصنف في وقتنا

الحالي في خانة " الانثروبولوجيا" لأنها تعطي رؤية عن المجتمع البربري القبائلي و هذا ما سيسمح لنا لإثبات إلى

أي درجة تعكس اللغة الفرنسية ذاتها في أعمال "مولود معمري" الغنى الثقافي للمجتمع الجزائري البربري لأن

الكاتب كان متحذرا في أصوله.

لقد تمكن "مولود معمري" من إدخال في رواياته الناطقة باللغة الفرنسية علامات من لغته الأم و هو يظهر بذلك

حاجة الإنسان الكبرى لإعادة الاتصال مع جذوره ، إذ لا يمكن الانفصال عنها مطلقا ، و هذا ما يؤكد " "

أنطوان بارمان " فهذا النوع من الكتابة ذا طبيعتين : فهي من جهة تستدعي كتابات الآخرين التي يريد الكاتب

إحياءها في لغته و من جهة أخرى يقاوم بعنف هذا العداء لإخراج هذا التراث البربري من اللامبالاة و إعطائه

بعدا عالميا<sup>3</sup>.

---

1 - Ipid, p 90.

2 - Rolane Barthe, le degré Zéro de l'écriture, Paris, Seuil, 1953, p15-16.

3 - Antoine Berman, Cours inédits sur " la langue maternelle " Aparaître aux PUV, en 2007.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و يقوم "معمرى" بترجمة هذا التراث إلى اللغة الفرنسية و هو يظهر بقوة في الأقوال و الأمثال القبائلية التي تعطينا رؤية عن مجتمع الكاتب و كأن هذا الأخير يريد أن يذكر بوجود هذه اللغة و بقوتها و باستمراريتها و التي تمثل إرثا لا يقدر بثمن كما يريد التأكيد أنها لغة كل الأوقات و المناسبات و أن فهم لغة الأجداد هو فهم لروحهم، ففي رواية " الأفيون و العصا مثلا " يقف " محمد " وسط شيوخ القرية لتوديعهم خاطبا فيهم باللغة البربرية على الرغم من عدم فهم بعض الشباب لكلامه<sup>1</sup>

و نجد ذات الارتباط النفسي باللغة الأم و الإيمان بقوتها و بدورها عند " بشير " في (الأفيون و العصا ) حيث قال: « وددت أن أقول لها هذا باللغة البربرية و أشياء أخرى »<sup>2</sup>.

و ينبغي الإشارة أيضا إلى حضور الترجمة في روايات "مولود معمرى" و ذلك حينما لا تتكلم الشخصيات ذات اللغة<sup>3</sup> و لكن بالإمكان القول أنه في ظل هذه الترجمة يتم اكتشاف أسلحة المقاومة ، فاللغة هي الجهاد الحقيقي للشعب الجزائري .

فالحفاظ عن اللغة و الدفاع عنها ما هو إلا دفاع عن الوطن بالنسبة لـ " مولود معمرى و إن اللغة الفرنسية إذن ما هي إلا وسيلة للتعبير فقط بالنسبة للكاتب<sup>4</sup>.

لقد كان "معمرى" ينقل هذه الترجمة للغة الفرنسية إلى لغة " جزائرية" محضة تجلت في مواقف شتى كما نجد على سبيل المثال في رواية ( الهضبة المنسية ) « و أحابت المجموعة بالكلمات المعتادة : باسمك يا نبي، الصلاة والسلام عليك»<sup>5</sup> و نفس الشيء نجده في روايته (إغفاءة العادل)<sup>6</sup> فـ " معمرى " يدرك من خلال الأمثلة السابقة أن خصوصية اللغة الفرنسية كلغة أجنبية لا تتطابق مع لغة الشخصيات ومع مواقفهم و بالتالي يتم رسم

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p 339.

<sup>2</sup> - Ipid, p 380.

<sup>3</sup> - Ipid, p 166, 256.

<sup>4</sup> - Henri Meschonnic, Poétique du traduire, Lagrassé, Verdier, 1999, p84.

<sup>5</sup> - Mouloud Mammeri, la colline oubliée, P 65.

<sup>6</sup> - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p 61, 68.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الشخصيات و الرواية بأكملها على خلفية بربرية و هي بلا شك مهمة جدا تتطلب جهدا كبيرا ما يصنع منه الكاتب الأكثر دفاعا عن الهوية الوطنية بجزيئها العربي و البربري .

و هذا ما يجعلنا نسلم الكتابة عند "مولود معمري" بالمغامرة الكبرى و ليست مجرد سرد للماضي و للذكريات إن الكتابة عنده مشروع مدروس بكل معنى الكلمة ذات أبعاد ثلاثة: الحفاظ على جذور شعبه المهتدة بالزوال، التعريف به داخل أصالته و الاستجابة للحضارة بقيمها العالمية.

« -هل تتكلم العربية سيدي؟ يقول الصياد

-إنها البربرية

إنها لغتي»<sup>1</sup>.

و ذات الخلفية نجدها في رواية ( العبور )<sup>2</sup> والتي تحدث داخل النص المعمري حركة دائرية معبئة بالكثير من الدلالات و العلامات الهادفة إلى الحفاظ على الهوية الوطنية، إنها تنشر أجزاء من الثقافة و في نفس الوقت تعطي معنى للنص ، و كل هذا سمح لـ " معمري " بتحقيق أمرين جد هامين و هما الانفتاح على الآخر والتأكيد على وجود لغته<sup>3</sup> .

و تجدر الإشارة إلى أن حديث "معمري" أيضا عما يسمى بـ "اهليل" الذي هو الممر للذاكرة التاريخية و اللغوية على حد سواء ، يعتبر مظهر من مظاهر الهوية الوطنية ، لقد كانت رواية "العبور" وثيقة أثرية هامة و هي ثمرة العمل المنجز من طرف الكاتب ميدانيا ، و هذا العمل له الفضل في التعريف بهذا الشعر الغنائي و تحسيس القراء بالخطر المحقق به باعتباره موروث شفهي .

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p 208.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 80, 113.

<sup>3</sup> - Antoine Berman, Cours inédits sur " la langue maternelle " Aparaitre aux PUV, en 2007.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

فكل شيء لديه معنى عند الكاتب و يتوغل في تفاصيله الصغيرة التي تكون اللوحة الكبرى لمقومات الوطن وهويته بما في ذلك الرقص الذي يأخذ حيزا من أعماله الروائية كما نجد في (الهضبة المنسية) مجسدا في شخصية " طاما " و ( العبور ) مع " با سالم " أيضا ، إنه بمثابة منفذ، تحرر من العنف، الغضب، القلق ، و ينعته مراد بـ " جنون الصحراء " ، و تراه معه " سعاد " نوع من الحرية<sup>1</sup>

و في روايته ( العبور) أراد الكاتب أن يظهر أيضا كيف أن بربر الجنوب هم حاملون لعبء ثقيل للذاكرة و نقلها في عالم عدائي مميت، إنه يريد التنبيه إلى الخطر المحدق بهذا الإرث - كما أسلفنا الذكر - و إلى ضرورة الحفاظ عليه. لقد كان للكاتب الحظ للالتقاء بأحد حاملي هذا الإرث الغنائي و الذي خلده إلى الأبد في شخصية " با سالم " في رواية ( العبور) كما سبق و أن رأينا .

إن ( العبور) تجسد أيضا مأساة عاملين متعارضين لسكان الجنوب البدو في الأصل و لثقافتهم المعرضة للخطر خاصة بـ "قورارة" في مدينة تميمون.

وكما يرى (بول نيزون) يعتقد "مولود معمري" أن هناك جانب لا يخفى ، ف ( العبور) كشفت الحقائق المخبئة خاصة تلك المتعلقة بجيل ما بعد الاستقلال.

إنها الرحلة التي لم يجد فيها كل شخصيات القصة ما ينشدون ، هي خيبة الأمل لكل واحد منهم ، هي اليأس المميت بالنسبة لهم و بالنسبة لـ "مولود معمري " كخيبة "بوعلام" الدينية ، و الذي واجه الصحراء بتصوفه ليحدها شيئا مختلفا تماما عما كان يؤمن و يعتقد من قبل ، فالصحراء كانت بالنسبة إليه دائما وجه الله و مهبط رسالته و أرض العبادات و لكن البترول قتل كل شيء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 58.

<sup>2</sup> - Ipid, p 64.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

وتبرز في روايات " معمري " عموما مفاهيم الوحدة و التضامن اللذان يعتبران من أسس الانتصار و تجسد تلك المفاهيم شخصيات " معمري " التي نجدها « أكثر إيجابية وواضحة المعالم و تتابع المناظر و اللحظات الهامة في الرواية و التي تعرض لنا ايجابية تلك الجماهير »<sup>1</sup>.

إذن لا يمكننا اعتبار أدب " مولود معمري " مجرد نماذج منفصلة لمراحل زمنية معينة من تاريخنا ، بل تعتبر كتاباته وحدة موضوعية متطورة و متكاملة ، ففي روايته الأولى ( الهضبة المنسية ) - كما رأينا - لا نجد أية بوادر للثورة و لا شيء سوى الألم العميق الصامت ولكن يتطور ذلك الموقف باستمرار لدى الكاتب و شخصياته في كل من روايته الثانية و الثالثة إلى أن يصل إلى مرحلة الثورة المسلحة الواعية و رفض أي موقف توفيقى أو أي نوع من أنواع الهروب النفسي ، بل يواجه أبطال الكاتب هذا الواقع بكل موضوعية محاولين التغلب عليه و تغييره و ذات الهدف يظهر عند شخصيات و أبطال " رواية " معمري الأخيرة " العبور " ، ما يثبت أن ربايعته متكاملة و مترابطة شديد الترابط. إن كل رواية للكاتب تشير في الحقيقة إلى مرحلة من حياة الشعب الجزائري كما صرح الكاتب لـ " لظاهر جاووت " <sup>2</sup>.

لقد كانت و لازالت إبداعات " مولود معمري " الروائية ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ الأدب الروائي الجزائري وهذا باعتراف النقاد و دارسي الأدب الجزائري جميعهم فقد قدم هذا الكاتب نموذجا حيا لتجربة الإنسان الذي ينهض بكل ما أوتي من إرادة ليواجه المحتل الغاشم ووسائل القهر الشنيعة التي يستخدم معه .

و لا شك أنه حينما أخذ " مولود معمري " قلمه ليبدأ مسيرته ككاتب كان يعرف تماما ماذا سيقول؟ و بأية ألفاظ و لأي هدف يوجه خطابه ؟

<sup>1</sup> - عبد الكبير الخطيبي : الرواية المغربية ، تر : محمد برادة ، ص 183.

<sup>2</sup> - Taher Djaout, Entretien avec mouloud Mammeri, la cité du soleil (inédit), itinéraire, 163, p 22.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و هكذا فقد استطاع الكاتب أن يجسد في أعماله الأدبية مقاومة الشعب الجزائري للاستعمار الفرنسي من أجل نيل الحرية في كل مجالات الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية و العسكرية، وتجدد الإشارة إلى أن هناك موضوعات أخرى غير ثنائية " المقاومة و الحرية " ، كموضوع الأرض و يعود ذلك إلى مدى ارتباط الكاتب الجزائري عامة و " مولود معمري " خاصة بـ « المكان الذي يكتب عنه و بالناس الذين يعيشون في هذا المكان »<sup>1</sup> فالأرض عند " معمري " مقدسة و القرية عنده هي روح ساكنها و كنه وجوده و قد لاحظنا في أغلب رواياته كيف يجعل أبطاله يعودون لقربتهم الأولى مهما هربوا منها و ابتعدوا عنها - كما ذكرنا في مواضع سابقة - لذلك كان همه الأول هو البيئة الجزائرية و ثقافتها و عاداتها و تقاليدها، و قد ارتبط موضوع الأرض بثنائية الحب والمواجهة، حب أرض الأجداد التي أصبح الاستعمار الفرنسي يعتبرها قطعة من فرنسا ، و هذا الحب يؤدي بالضرورة إلى مواجهة الاستعمار لتحقيق غاية نبيلة و هي تحرير أرض الوطن<sup>2</sup> .

إضافة إلى موضوع الفقر الذي كان من أعقد المشاكل التي عانى منها الشعب الجزائري في الحقبة الاستعمارية وهذا ما ذهب إليه " ابراهيم الكيلاني " عندما قال: « ليس هناك شعب على وجه الأرض عانى ما عاناه الشعب الجزائري من ألوان الحرمان، و المنع و التقنين ، حتى أصبح الفقر و الجوع صفتين في طباعه الأصلية »<sup>3</sup> . دون أن نغفل موضوع حساس و هام أخذ الحيز الكبير من حياة الجزائريين في تلك الحقبة على الخصوص و هو موضوع الهجرة الذي جسده " معمري " في أعماله تلك أيما تجسيد و بكثير من التفصيل والذي كشف شيئين اثنين هما : اضطرار الشباب الجزائري إلى الهجرة إلى فرنسا بسبب ظروفهم الصعبة بالوطن أما الثاني فهو اعتبار الجزائريين هجرتهم خارج وطنهم، منفي اقتصادي و جغرافي ، لغوي ، و ديني<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> - محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ، ص 13-14.

<sup>2</sup> - Rabah soukhal, le roman algerien de langue francaise (1950-1990) thématique, édition publisud, paris, 2003, p78.

<sup>3</sup> - ابراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر ، دط ، دار المعارف مصر ، القاهرة ، ديسمبر 1958 ص 89.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و هذا ما أعطى لهذه الأعمال الطابع الواقعي بكل ما فيه من وصف مادي للحياة الاجتماعية التي يحياها الجزائريون حيث أعطى أبطال أعماله الأدبية « صورة حقيقية لواقع المجتمع الجزائري الحديث بجميع تناقضاته ومشاكله »<sup>2</sup> .

و بذلك نلاحظ أن الشخصيات و البيئة و الأجواء في رباعية " مولود معمري " هي جزائرية بحتة ما يجعله أدبا قوميا جزائريا فلغة النص ليست هي التي تعطيه هويته و تكسبه انتماءه و هذا ما أشار إليه "إبراهيم سعدي" الذي قال بأن: «... العناصر المتمثلة للهوية الثقافية للنص ربما أكثر من اللغة فهي الأكثر ارتباطا بمجتمع النص وبالتالي الأكثر ثباتا في التعبير عن الهوية الثقافية للنص ، فالكاتب يستعير اللغة و الشكل و التقنية والإيديولوجيات و لكنه لا يستعير المجتمع الذي ينبثق منه العمل و يعبر عنه و يرتبط به »<sup>3</sup> و هذا ما عبر عنه "مولود معمري" أيضا عندما قال: « كنت أتألم لكوني أحييا في بيئة لا صوت لها يعبر عن عما يختلج في نفسها من أفكار و عواطف خاصة بها دون سواها... تلقيت دروسا باللغة الفرنسية ، و أنا أتوق إلى إتقانها و اكتساب ملكتها ، حتى أتمكن من التصرف فيها بدقة و أناقة ، و كان لا بد من عقبات و مصاعب لعدم وجود انسجام بين هذه اللغة و طريقي الخاصة في التعبير ، و كان لا بد لي إذن أن أقسو على إحداها لأجعلها طيعة للأخرى »<sup>4</sup> و يبدو لنا جليا أن الكتاب الجزائريين الذين شعروا بهذا و تصرفوا هكذا تصرف هم أولئك الذين لهم حس وطني قومي أصيل ، إذ عمدوا إلى تحطيم قواعد اللغة الفرنسية المفروضة عليهم فرضا و أسسوا بهذه الأخيرة لغة جزائرية جديدة و رؤية مختلفة .

---

<sup>1</sup> -Mariannick Schopfel, les écrivains francophones du maghreb, les nomandies de France, 2000, p86.

<sup>2</sup> - سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، ص 149 .

<sup>3</sup> - إبراهيم سعدي، عودة إلى مسألة الرواية و الهوية ، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة ، مطبعة اقتياع ، برج الكيفان ، الجزائر ، 2004، د.ع.ط، ص 157 .

<sup>4</sup> - نقلا عن أنور الجندي ، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، ص228.



## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

فحينما انفتح " معمرى " على ثقافة المستعمر ، يستعير منها لغتها و يتوسل الأدوات الفنية ، كان من جانب آخر و من حيث المضمون ، ينطلق من مجتمعه كمنتسب إليه و متمسك ببيئته الجزائرية مسلطا الضوء على وقائعها الإجتماعية و السياسية .

ما ينفي ماذهب إليه " عبد المالك مرتاض " حينما قال عن الكتاب الناطقين باللغة الفرنسية : « معظمهم كالفرنسيين معجبين كل الإعجاب بالحضارة الغربية ، بوجه عام ، جاهلين بالتاريخ العربي ، غير ملمين بمعالم الحضارة الإسلامية »<sup>1</sup>.

و معنى هذا الكلام، أن الكاتب الجزائري حين تناول القلم ، إنما تناوله تحت تأثير الثقافة الفرنسية و قيمها التي اكتسبها في مدارسها و انتقلت إليه بفعل الإعجاب و المثاقفة الطويلة التي تعرض لها، و جعلته ينفصم عن منشئه، فعدم إتقانه اللغة العربية جعله - على حد تعبير بعض النقاد - بعيدا عن تراثه الوطني والثقافة العربية الإسلامية و ضيعت عليه فرصة الإطلاع على تاريخه و التقرب منه ، و لا يمكن لنتاجه في هذه الحالة إلا أن يكون ثمرة الانبهار و الانقياد وراء الثقافة الغربية ، إلا أننا نؤكد أن لا صحة لذلك على الإطلاق أمام موقف بعض الكتاب الناطقين باللغة الفرنسية عامة و "مولود معمرى" خاصة من واقعهم و ظروف شعبهم التي كان يمر بها والتي تناولوها بالكثير من التصوير الصادق ، لقد كان من المستحيل عدم الالتزام اتجاه ما سماه " معمرى " « واقع الأمة الجزائرية العميق »<sup>2</sup>.

فعلى العكس تماما فإن فمعمرى يرى أن وجود ثقافتين في الجزائر كان حظا في صالح الكتاب ويعبر عن هذه الفكرة بقوله: « أكاد أقول أن ذلك حظٌ وربما تكون قيمة الكاتب الذي يعزفُ على وترين أفضل من قيمة من

<sup>1</sup> - واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 69.

<sup>2</sup> - ينظر : عابدة بامية أديب ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص 72.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

يكتفي بأن يعبر عن شعوره بلسانه الخاص ، ويجب اعتبار ذلك ثروة جزائرية تغني الثقافة الجزائرية فلا يجب أن نبتز هذا الجزء الذي هو حظٌ خاص بالجزائر كما اعتقد<sup>1</sup>.

إذن ، فقد عبّر "مولود معمري" عن شعوره تجاه هذه الثقافة الأجنبية التي اعتبرها ثروة جزائرية خاصة تفردت بها الجزائر و لم تكن لغيرها من الأقطار العربية ، فعندما تندمج الروح الشرقية للجزائر بالثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة أدبا جديدا أصيلا، و يكون الكاتب بذلك يعزف على وترين على حد تعبير "معمري" بل إن التفكير الجزائري في حد ذاته يعتبر مختلفا و متباينا ، حيث أنه يشكل مزيجا من العقلانية والشاعرية والمنطق . و لا يمكن لهذه العناصر المتناقضة أن تكون جميعها وليدة ثقافة واحدة ، فالجزائري عموما يمتلك بطبيعته الروح الشاعرية و المتدينة والقدرية و قد تحصل من ثقافة المستعمر على المنطق والعقلانية.<sup>2</sup>

لقد كانت رباعيته في الحقيقة صورة مستمدة من إبداعات تراث الماضي البربري و العربي تتلاءم و تتفاعل مع المتطلبات الحديثة و الفكر الحديث.

إن الأدب الجزائري عامة لم يأت من فراغ و هذا ما أكده الكاتب "مولود معمري" مرارا : « لم يكن نتيجة قصف الرعود في سماء صحو...»<sup>3</sup>

إن الكتابة لدى "مولود معمري" عامة و في رباعيته خاصة تشكل التحاما كبيرا بقضايا الوطن المستلب والفضاء الحامل للقيم الثابتة التي رسخها الأجداد و المحدد للهوية و الانتماء و المبين للخيال و الشعور لدى الأفراد و الجماعات و لو بلغة العدو « لقد ساهمت في استعادتنا القيم الحقيقية لثقافتنا الصرفة التي كادت أن

<sup>1</sup> - « les écrivains Algériens débattent les problèmes de la culture » El Moudjahid , 2 Feb,1962 , p13.

<sup>2</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1967-1925 ) ، ص55.

<sup>3</sup> - Mouloud Mammeri, le rôle de la littérature Algérienne d'expression Française, El Moudjahid-oct 28 ,1966, p6.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

تبقى بالنسبة لنا كلمات مينة صماء <sup>1</sup> « إنها انعكاس واضح للتحويلات الإيديولوجية التي طبعت الحركة الوطنية في مسارها التحرري الباحث عن التحرر و الإعتاق .

و يعطي " معمرى رأيه في كل ذلك قائلا : « الكتابة هي الإيمان العنيف بشيء يُشعر الإنسان برغبة شديدة في إيصاله للآخرين لكن الجزائريين لم يكونوا يؤمنون بشيء حتى بأنفسهم قبل الحرب العالمية الثانية ... و كانوا قد قتلوا الله دون أن يعرفوا، منذ زمن طويل، وكان ملء أفواههم، بسبب الكسل والتعود ونضب الخيال، وكانت قلوبهم خالية... وقد سمعوا مرارا الكلمات التالية تتردد: " أنتم عرب.... أنتم لا شيء ، ... " و كل يوم يمر يؤكد ذلك فالسلطة والثروة والجمال والعلم والكرامة واللغات ، وملاعب التنس ، و الشواطئ ، و السيارات و كل شيء جيد و جميل و دافئ و كبير كان مُلكا للأوروبيين» <sup>2</sup>.

و الكتابة عنده أيضا طموح للتغيير و تهدف لجعل الذات مندجحة في الخطاب الوطني و متفاعلة معه ، رغم كل العراقيل و الضغوطات التي كانت تواجهه و تواجه باقي الكتاب الناطقين باللغة الفرنسية ، ما اضطرهم إلى اللجوء إلى التعبير غير المباشر أو تبني مواقف معينة ، يقول " معمرى " :

«... كنت مضطرا للتعبير عن أفكارى بأسلوب غير مباشر، و اللجوء إلى الغموض، وأحيانا - وهذا أخطر وأعظم - إلى اختيار مواقف ما كنت اخترتها في إطار سياسي مختلف» <sup>3</sup>.

و رغم ذلك لم يتنصل الكاتب من الالتزام بضرورة التعبير عن مأساة مجتمعه ، ووسيلته هي الخطاب الأدبي المضاد المتجسد في أعماله الروائية التي صورت جزائر الثورة أو جزائر الاستقلال على حد سواء كما رأينا في

<sup>1</sup> - « Rencontre au Maroc de l'orient et de l'occident » confirient ,N° :23-24 sept ,oct 1962 , p5-6-7-8.

<sup>2</sup> « Rencontre au Maroc de l'orient et de l'occident » confirient ,N° :23-24 sept ,oct 1962 , p5-6-7-8.

<sup>3</sup> -Mouloud Mammeri « le rôle de la littérature Algérienne d'expression Française», El Moudjahid,octo, 28, 1966 , p6 .

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

روايته الأخيرة ( العبور ) ما ينفي ما ذهب إليه عبد المجيد حنون حينما قال : « لا يمكن قبول الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية لان الواقع المعاش يخالف ذلك »<sup>1</sup> .

فالرواية الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية كانت رواية كل المراحل ، إنها رواية الماضي و الحاضر على حد سواء ، رواية الثورة و الاستقلال و قد عرت الواقع المتغير عبر الزمن و صورته بنفس المصادقية و بذات الالتزام .

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نقول: « إذا أردنا أن نكون منصفين بعيدا عن كل مزايده إيديولوجية فإن الأدب المحرر بالفرنسية أسهم إسهاما ربما كان أكثر فعالية من الأدب العربي »<sup>2</sup> .

إنه لمن المهم العودة إلى مسيرة هذا الأدب و ما أسهم به في الحركة الأدبية الجزائرية بدلا من الانشغال بلغته المستعارة ، إن أفكار الفئة المناوئة له وصفها "واسيني الأعرج" بالدوغمائية و الشوفينية ، و هي أحكام تنقصها الروية و يعوزها الكثير من الروح العلمية « و غياب الإطلاع الواعي على الكتابات الأدبية الجزائرية باللغة الفرنسية»<sup>3</sup> .

فمن الضروري إذا رغب النقاد الجزائريون معاينة هذه التجربة الأدبية و نقدها ، الإطلاع عليها أولا و استيعابها وفحصها عن قرب لفهمها و معرفة مكنونها ، للوقوف منها موقفا موضوعيا لأن « مسحة صغيرة لأعمال محمد ديب و كاتب ياسين و مالك حداد و آسيا جبار و غيرهم تثبت عكس المزاعم »<sup>4</sup> التي ظلت تتشدد بها أقلام وتحركها مذاهب عرقية مختلفة.

<sup>1</sup>- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 29.

<sup>2</sup>- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري ، ص 47.

<sup>3</sup>-واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 71.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص ن.

## II- تشكيلات العناصر السردية داخل الرباعية

لقد استطاع الكتاب الجزائريون أن يسيطروا على اللغة الفرنسية بدل أن تسيطر عليهم ما جعل أديهم مختلفا عن الأدب الفرنسي من حيث الشكل ، إذ لم يبق متوقفا عند حدود الجماليات - كما يرى بعض الدارسين - بل تجاوزها إلى قضايا الفكر و السياسة والمجتمع ، لذلك جاءت لغتهم متسمة بالوضوح و العمق ، دون تكلف وهذا ما ذهب إليه " أبو القاسم سعد الله " حينما قال عنهم بأنهم: « ... خلافا للفرنسيين أقل ارتباطا بالتقاليد الأدبية »<sup>1</sup> .

فما يميز الكتابات الأدبية للكتاب الجزائريين الناطقين باللغة الفرنسية عامة و الأديب " مولود معمري " خاصة تلك التعبيرات الفنية بذبذبات صوتها و كثافة صورتها الشعرية ، متأثرة بما يدور من صراع بين الشعب المستعمر من أجل نيل الحرية ، و تحويل مفردات الواقع إلى علاقة فنية حيث يجد كل موقف معادله الفني<sup>2</sup> .

بالإضافة إلى ظهور شيء من العنف و الشدة في أساليب الآثار الأدبية و الذي تحول بعد اندلاع حرب التحرير إلى جو مكهرب مشحون بالعواطف الجياشة النابعة من التجارب الأليمة<sup>3</sup> ، التي عاشها الكتاب الجزائريون عامة و " مولود معمري " خاصة على غرار كل الشعب الجزائري في هذه الفترة الحاسمة ما دفع بهؤلاء الكتاب إلى التعبير

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، هموم حضارية ، ط1، دار الأمة ، الجزائر ، 1993 ، ص 200.

<sup>2</sup> - Christiane Ndiaye, Introduction aux littératures francophones, Afrique2  
Caraïbe, Maghrebe, Les presses de l'université de Montréal, P 219.

<sup>3</sup> - ينظر: حنفي بن عيسى ، الرواية الجزائرية المعاصرة ، مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام ، الجزائر ، السنة 2 ، العدد 8 ، 9 ماي،  
جويلية ، 1972 ، ص 71 - 72.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

عن تلك المرحلة بطرق مختلفة تجاوزوا بها لاشك أي تقليد للنماذج الفرنسية كما كان سائدا قبل الحرب العالمية الثانية ...

و خير نموذج على ذلك رباعية " مولود معمري " المشكلة من روايته " الهضبة المنسية"، "إغفاءة العادل"، "الأفيون و العصا" وروايته الأخيرة " العبور" و التي تضرب بجذورها في أعماق المجتمع الجزائري منذ الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الاستقلال.

و بما أن الرواية تتميز عن غيرها من الفنون السردية بطولها و تشابك الأحداث فيها و كذلك بتعدد الشخصيات و الأماكن و الأزمنة و هي أشبه ببناء كاتدرائية كما قال أحد الباحثين و ذلك لتعقيد بنائها و كثرة التفاصيل فيه فهذا البناء « يجمع بين التفاصيل المعقدة المتداخلة و المترابطة مما يجعله يتطلب جهدا فائقا (... ) ، إنها مزيج من تقنيات أدبية يستخدمها الكاتب دون قيد أو شرط...»<sup>1</sup>، فإننا حاولنا إسقاط تلك العناصر الفنية على رباعية "مولود معمري"، و دراستها متقصين جوانب التجديد ، الإبداع ، التميز و الفنية فيها جميعا .

### II-1-الشخصيات :

تعامل " مولود معمري" مع شخصياته بنفس التخطيط و الانتقاء الذي استعمله مع "حدث" رواياته ، هذا ، فثمة تخطيط في الإدراج فهو يترك شخصياته تتوالى إلى مسرح الأحداث دون أن يقدمها ، تاركا الموقف الذي توجد فيه الشخصية يتولى ذلك كما أنه يتفادى أن يحشد المشهد الواحد بالعديد من الشخصيات مثلما نجد في رواية ( الأفيون و العصا) « عند اجتماع السكان في الساحة الرئيسية ، قام " معمري" بتفرقتهم لتحاشي انطباع الضجة و الارتباك»<sup>2</sup> :

لقد جاءت شخصيات الرباعية ذات بناء واقعي مركب تمتلك مصداقيتها في مشابقتها للبشر الحقيقيين، في أشكالهم و طبائعهم و أقوالهم و أفعالهم و لقد اختارها " مولود معمري " من صميم الواقع الجزائري المحض،

<sup>1</sup> - محمد شاهين ، آفاق الرواية البنينة و المؤثرات ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001 ، ص 10.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p110.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

فجاءوا بسطاء عاديين من عامة الشعب، يعيشون مأساتهم في ظل وجود استعماري غاشم و لكن دون أن يفقدوا الرؤية التفاؤلية أبدا- كما أسلفنا الذكر- و يرى " محمد بوشحيط " بأن هذه الرؤية الواضحة قد ساعدت « على تطور أفكارهم ضمن أفق اجتماعي محدد و من خلاله اكتسبت شخصياتهم عمقا ودلالة دون أية نمطية في الأداء »<sup>1</sup>.

و قد جعل " معمري " شخصياته حاملة لأسماء بربرية ( أكلي، تاسادي، تامازوت ، سكورة ، إيشو، فروجة، محند، مزيان ، غنيمه، سمينة ...) و هي كلها أسماء اختارها الكاتب من عمق البيئة البربرية و كأنه بذلك لا يريدنا أن نتلاشى و تحتفي.

فقد كان للشخصيات حضور كبير في رباعية الكاتب بمختلف فئاتها و أعمارها و أصنافها وإن دل ذلك فيدل على الاهتمام البالغ الذي أولاه " معمري " لهذا العنصر باعتباره « عمقا استراتيجيا و مقياسا يؤسس للبنية السردية و لجماليتها »<sup>2</sup>.

و قد انقسمت إلى فئتين اثنتين : معارضة للفعل الثوري و الثورة الجزائرية ، يمثلها حكام فرنسا و جنودها وأعوانها الخونة كشخصية " تودارت " في " الهضبة المنسية " و " الطيب " في " الأفيون و العصا " على سبيل المثال وموستيك " و غيرهم ممن سعوا لإنجاح السياسة الاستدمارية في الجزائر و قد كانوا مذمومين في القرية معزولين عن الأهالي.

وشخصيات مساعدة للفعل الثوري يمثلها : أبناء القرية المخلصين و مجاهدوها الأبطال<sup>3</sup> ، مثل " سليمان ، بشير علي ، بلعيد ، عمر و غيرهم و حتى نساؤها اللاتي كان لهن الفضل الكبير في تهيئة أماكن إخفاء الثوار داخل القرية مع توفير كل ما يحتاجون إليه<sup>1</sup> مثل " فروجة " في " الأفيون و العصا " و " تامازوت " في رواية " العبور "

<sup>1</sup> - محمد بوشحيط ، الكتابة لحظة وعي ، مقالات نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، د.ع.ط ، ص 83.

<sup>2</sup> - سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، ص 175.

<sup>3</sup> - زبير خثير ذويبي ، سيميولوجيا النص السردية ، مقارنة سيميائية لرواية الفراشات و الغيلان ن دراسة ، مطبعة دار هومه ،

ط1، رابطة اهل القلم ، سطيف ، الجزائر ، ص21.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

بالمقابل نسجل حضور لشخصيات نسائية صديقة لأبطال روايات الكاتب بدءا بشخصية "كلود" صديقة " بشير لزرق" في ( الأفيون و العصا ) التي كانت مناوئة لما يحدث من ظلم و استبداد للجزائريين<sup>2</sup> وشخصية "جيرمان" حبيبة أرزقي في ( إغفاءة العادل) إلى شخصية " أماليا " التي انضمت إلى جبهة التحرير الوطني وساندتها في رواية الكاتب الأخيرة ( العبور) و نجد من هذه الشخصيات الرئيسي و الثانوي و لكن ينبغي الإشارة إلى أنه في النص المعمري ما يجعل من الشخصية رئيسية هو الدور الذي تقوم به و قد يكون للشخصيات الثانوية التي التي قلما يتحدث عنها الكاتب دورا فعالا و خاصا في بناء حدث الرواية كما نجد في رواية ( العبور) . كما ان " معمري " يرفع شخصياته النسوية إلى المنزلة الروحانية بعيدا عن مادية العالم ، كما أن ظهوره على مسرح الأحداث لا يدوم طويلا ، إنه مثل الحلم سرعان ما يتبدد مثل "محسن" التي تظهر و تختفي في رواية ( الأفيون و العصا) قبل أن نستطيع التعمق في شخصيتها و يكتبها الكاتب بالقول على لسان " ابتو" « لقد هربت »<sup>3</sup>

إن موضوع الكتابة قد تغير وضعه منذ أزمة الهوية الأدبية التي ميزت القرن الرابع عشر<sup>4</sup> ف "معمري" يكلف شخصياته بمهمة معينة، يجعله ينقل أفكاره و إيديولوجيته للقارئ و كذلك مخاوفه ، كما يركز اهتمامه على الجوهر فيها : نفس الإنسان و عقيدته في الحياة و لذلك فإنه لا يبرز وجوه شخصياته و أن المرء يتساءل عن شكل شخصية " مقران ، أرزقي ، بشير ، مراد " و تلك الدائرة في فلك هؤلاء مثل " جيرمان ، كلود ، أماليا ، رمضان، آكلي ، عزة ن مناش .... الخ ما كان يحرض التخيل في القارئ . لقد كان " معمري " يكتبها بإيراد

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p106 .

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p150, 151.

<sup>3</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p 157.

<sup>4</sup> - Anne Maurel, La critique littéraire, Paris, Hachette, ed, 1998, p91.



## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

بعض التعليقات على لسان شخصياته ليأخذ القارئ فكرة كافية عنها كتعليق الدكتور "بشير" على "كلود

قائلا : « بالنسبة لكل المناظر كانت رائعة ، الأطفال ، الأصدقاء الطيبون و الفساتين الجميلة .. »<sup>1</sup>.

إن شخصياته تعاني من صراعات داخلية و شعور بالاغتراب و الحيرة ما يجعل من الحياة عبئا ثقيلا مثلما هو

الحال بالنسبة لوالد "أرزقي" في رواية (إغفاءة العادل) حيث يقول : « لا أحد يعرف بعد أين هو الطريق ، لم

يعد أحد يحترم شيئا ، كل شيء تساوى مع كل شيء ، أشعر بالبرد لأن عظامي هرمة و كذا قلبي »<sup>2</sup> و نفس

الصراع يتجسد عند "أرزقي" حيث يقول : « شعرت و كأنني تركت في الغابة بدون أسنان لأقضم ، بدون سلاح

و أكثر من هذا يعوقني ذكائي و مثقلا بالبراءة و الشكوك ، كنت بمثابة الضحية المثالية ، أشبه بكبش الفداء»<sup>3</sup>.

كما تتميز شخصيات "معمرى" بالتعقيد و الهامشية، تتخلى عن حياتها لتحمل حياة الجميع على عاتقها، إن

و هي مكلفة بمهمة أخرى غير تلك التي تخص تحقيق مغامرات مجيدة كما تؤكد "ايف غوثر"<sup>4</sup>.

و هي شخصيات دائما تتأرجح بين القرية التي لم تنس أبدا و بين العالم الخارجي غير المفترض ، ما يعطي

لكتابات لهجة من العمق كما يوضح "الطاهر جاوت"<sup>5</sup>.

كما أنها ممزقة بين أصالتها و كل مظاهر الحضارة الجديدة ، إضافة إلى رجوعها دائما إلى المكان الأول « يعودون

إلى القرية حيث يجب أن يموتوا »<sup>6</sup> القرية التي هي رمز للأصل و الأرض ، و لكن هذا الرجوع لا يحدث أبدا

دون ألم و يعتبر هذا الرجوع دورة حياة الشخصيات في الحقيقة و للوطن عامة : قبل و أثناء و بعد الثورة

1 - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p 21.

2 - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p77.

3 - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p137.

4 - Anne Maurel, La critique littéraire, p73.

5 - Taher Djaout, Entretien avec mouloud Mammeri, la cité du soleil (inedit), itineraire, 163, p 22.

6 - Mouloud Mammeri, la traversée, p 51.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

التحريرية ، ما يعطي لموضوعات "معمرى" عمقا كبيرا و ما يؤكد بعد ذلك وجود حركة من الخارج إلى الداخل في أعماله الروائية تخص الشخصيات .

إن هذه الشخصيات تظهر بوجهين و تنتقل من حالة المعاني إلى حالة المتصرف ، المقرر في أعماله الأدبية كما رأينا في شخصية "مقران" في (الهضبة المنسية) و شخصية "مراد" في رواية (العبور) و التي ينتهي بها الأمر بالموت كما لاحظنا و الذي يشير إلى انتهاء شيء ما و لكنه الموت الإيجابي في نظر "معمرى" بما أنه مرتبط بالأرض و بسنة الحياة بل أبعد من ذلك فتح المجال لحياة جديدة ، و هذا ما يفسر دقة اختيار الكاتب لهذه الشخصيات ، إنه يريدنا من عمق المجتمع و تستحق حمل الرسالة التي يكلفها بها بوفاء و هي مثقفة كلها بدءا بشخصية "مقران" و "مناش" في (الهضبة المنسية) ، شخصية "أرزقي" في (إغفاءة العادل) ، شخصية "بشير" في رواية (الأفيون و العصا) و أخيرا شخصية "مراد" في (العبور) التي يعتبرها "ف. د يسبلونك" التوأم الروحي للكاتب<sup>1</sup>.

و تجدر الإشارة إلى أننا نجد في رواية (العبور) نفس الشخصيات و الأماكن التي رأيناها في رواية "الهضبة المنسية"<sup>2</sup> و المشترك بين شخصيات "مولود معمرى" في كل أعماله هو أنها ناطقة بلسان الكتاب و تعبر عن كل ما يحمله في أعماق نفسه حتى لتساءل إذا ما كنا أمام سيرة ذاتية ؟ ذلك « أن الروايات جزء من حياة الروائي»<sup>3</sup> و يتساءل ف. ديبلانك إذا ما لم تكن شخصيات معمرى تشبهه في الكثير من الجوانب؟<sup>4</sup> ، فالرواية تكون لها علاقة بحياة الكاتب<sup>5</sup> و أنها قد كتبت في السنوات السوداء من حياة الباحث<sup>6</sup> و هذا يدل على إنسانية الكاتب كما يؤكد "أندري جيد قائلا : « يحقق الكاتب اهتماما أعما و أوسع كلما تضاعفت فديته

<sup>1</sup> - François Desplanche, art,cit,p47 ,cf,aussi p51.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri ,la traversée, p 186.

<sup>3</sup> - Revue Awal, numero special, 1990.

<sup>4</sup> - François Desplanche ,art,cit,p47 ,cf,aussi p51.

<sup>5</sup> - Wadi Bouzar,Lecture maghrebines,Alger-OPU,Paris,-Publisud, 1984 ,p 181.

<sup>6</sup> - Ipid, p 181.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

لأن تركيزه على ذاتيته يدل على عمق إنسانيته<sup>1</sup> كما أن الشخصيات تعيش صراعا عنيفا بين نفسها و الآخر أو بين الأصالة و المعاصرة - كما أسلفنا الذكر - و يرى "عبد الكبير الخطيبي" بذلك أن "معمرى" قد أدخل الرواية النفسانية إلى الأدب المغربي المغرب بالفرنسية ، على أن هذا النوع من الرواية هو الذي يعبر عن مجموعة من المشاعر و الأهواء الخفية ذات الدلالة<sup>2</sup> .

كما تعايش شخصيات " معمرى " رفضا قويا للسياسة الاستعمارية الممارسة ضد الشعب التي هي منه و هذا ما يؤكد مقولة الهوية الوطنية في كل كتاباته التي محاورها الأساسية هي : المنفى ، الثقاف و حب الوطن .

إن موجة الأمل الكبيرة ، الانتظار ثم خيبة الأمل الموجهة هي كلها ممرات إلزامية لشخصيات الكاتب التي نجد لها نفس الأدوار و لكن موزعة بطريقة مختلفة ( المعتدي و المعتدى عليه) فالأول هو الاستعمار بطبيعة الحال و الثاني هو الشعب و حتى بعد الاستقلال يستمر هذا الوضع - حسب الكاتب - و لكن بوجه آخر أو بما (الوجع الوطني) !

و مهما يكن من أمر فالمشترك في الرباعية هو السفر، الأمل، الانتظار، الرحيل، على الرغم من السوداوية و التشاؤم الذي وسمت به رواية ( العبور) و انتقدت بسببهما .

## 2-II - الزمان والمكان

يتضمن كل من عنصرى الزمان و المكان تفسيراً لكثير من الأحداث و كشفاً لتنامى الشخصيات في الرواية عامة و في رباعية " معمرى " خاصة، « فهما يشكلان استجابة واضحة لمبدأ الاستفراد الذي أكده ( جون لوك ) وحدده بالوجود في موضع خاص زمانا و مكانا فالأفكار تبقى عامة بفصلها عن ظرفي الزمان و المكان »<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ، ص 145 .

<sup>2</sup> - عبد الكبير الخطيبي : الرواية المغربية ، ص 48.

<sup>3</sup> - نعيصة جهاد عطا ، في مشكلات السرد الروائي - قراءة خلافية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001 ،

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و يأخذ المكان أيضا دائما أسماء بربرية عند الكاتب على نحو ما نجد في لفظة " تالة " التي تعني " منبع الماء " "دوتسالنين" و هو اسم للمكان الذي تعقد فيه اجتماعات القرية ، " تي قمونين " ، أفيزار" و هما اسمين بربريين لقريتين بالقبائل ...

كما يأخذ المكان دائما دورا أساسيا في كتاباته و يحمل أيضا دلالات و أبعادا رمزية و هو مرتبط بحياة الأبطال و بمسيرة الشخصيات على نحو ما نجد في رواية " الأفيون و العصا " فالمكان هو قرية " تالة أوزرو " بمنطقة القبائل وتعني " تالة " - كما أسلفنا - العين أو مصدر الماء ، لقد سماها أهلها بهذا الاسم ليس لوجود الماء و لكن لأن أجدادهم في زمن مضى كانوا يسكنون قرية اسمها " تالة أوزرو " حيث الماء الغزير و القمح الوافر و المراعي الخضراء و السهول الجارية و لكن بسبب الاستعمار الفرنسي نزحوا إلى هذه القرية المترامية على أطراف الجبال وعمروها باسم قريرتهم السابقة<sup>1</sup> أما كلمة " ازرو " فتعني الحجر ...

و لكن " تالة " اليوم هو المكان المشبع بمظاهر الحرب و الموت و الدمار ...<sup>2</sup> و يتكرر ذات المكان و يواصل الكاتب بسط ظلالته و تكرار تفاصيله في كل رواياته على نحو ما نجد في رواية ( العبور ) من خلال قرية " تازقا " و هو امتداد للمكان في رواية " الهضبة المنسية " . إنها مجرد قرى صغيرة انطلق منها السرد و الحدث و الشخصيات و قد توحى بالإقليمية القبائلية و لكن « الإقليمية لا أهمية لها عند الكاتب و يمكن أن تكون مصدر قوته »<sup>3</sup>. ف " معمري " عبر هذه القرى الصغيرة قدم التجربة الجزائرية المرة و اتضح أكثر انطلاقا من اختياره للمكان الصغير و بالتالي سيطرته على مسار الأحداث و رسمها بصورة باهرة و كاملة لإيصال الهدف العام .

يقول الكاتب : « إنني أؤمن بشدة بالقيم العالمية و أؤمن كذلك أن أحسن موطن في العالم هو ذلك الذي يرتبط ارتباطا عميقا ببقعة من هذه الأرض حيث للسكان لون شعر معين ، و نبرة صوت خاصة بهم و صبغة تميزهم

<sup>1</sup> - Mouloud Mammeri, L'opium et le bâton, p79.

<sup>2</sup> - سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، ص 175.

<sup>3</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1967-1925 )، ص 264.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

وكمية من المشاعر وأحيانا للأسف تحيزات<sup>1</sup>. إنه يعتبر انطلاقه من هذه الكرة القبائلية نوعا من الأمانة والإخلاص للمكان ولألمور و التفاصيل الحياتية الأخرى التي تشكل الهوية في الحقيقة.

إن المكان لمقدس لدى "مولود معمري" و مشحون بدلالات عديدة و رموز مختلفة و له ارتباط وثيق بالشخصيات و بمسيرتها و قراراتها حتى كان أبطال رباعيته قدرهم هو الهروب منه مجبرين و العودة إليه طائعين على نحو ما نجد عند شخصيات الرباعية و أبطالها - كما سبقت الإشارة - إلى ذلك .

إن أبطال روايات "معمري" باتخاذهم قرار العودة إلى مسقط رأسهم "القرية" يحققون بذلك علاقة الوصل مع موضوع القيمة الظاهر: العودة إلى القرية الذي يتحول فيما بعد إلى موضوع جهة<sup>2</sup> modale Objet

و ذلك باعتبار الجهة المتحركة في الفعل و الموجهة له على مستوى كفاءة الفاعل يحقق لهم علاقة الوصل مع موضوع القيمة المضمرة: أداء رسالة أو واجب ما نحو الأفراد، الجماعات أو الوطن عامة.

و قد يجعل "معمري" من المكان عنوانا لأعماله و عتبة لهذه الأخيرة و نواتها المركزية كما نجد في رواية ( العبور ) وذلك خلال المساحة التي تحتلها في الرواية ( من الصفحة 64 من الرواية إلى الصفحة 146 من مجموع صفحاتها البالغ ) 195 صفحة.

و يعد الزمن بالنسبة لـ "مولود معمري" مصطلحا هاما و مفهوما و بعدا أساسيا في أعماله الأدبية ، كما أنه تخطيط قائم بذاته كتخطيط الحدث العام و تصوير الشخصيات في علاقاتها و جوهرها ، و هو متتابع وواضح في كل رواياته التي اتخذت أفق البلاد التاريخي سندا لها و هو يتجه بالأحداث نحو المستقبل انطلاقا من تسلسل رواياته فأجزاء الروايات تتتابع دون حدوث ثغرات فيما بينها و دون أن تتداخل أزممنتها ما يؤكد التقسيم الزمني الخاضع لتخطيط كبير من قبل الكاتب . و الزمن غالبا في أعمال "مولود معمري" يرتبط أيضا بمسار شخصياته

<sup>1</sup>- المرجع نفسه ، ص ن.

<sup>2</sup>- موضوع الجهة مصطلح اقترحه رشيد بن مالك في كتابه " مقدمة في السيميائية السردية " ، د.ط، دار القصة

للنشر ، الجزائر ، 2000، ص 22 ، كمقابل لمصطلح modale Objet.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و يتمركز أساسا قبل الانضمام إلى العمل النضالي أو الثوري و بعده ، فالشخصيات تحقق فعلا تواصلها معنا مع الحدث التاريخي الثوري مثلما نجد لدى شخصية بشير في رواية ( الأفيون و العصا ) و شخصية " محمد" في ( الهضبة المنسية ) و شخصية "مراد" في رواية "العبور" .

### II-3- السرد

إن أهم سمة للرواية هي السرد ، فقد كان " معمري " يحسن اختيار لسان الحدث و التصرف فيه في الرباعية، لقد سرد أحداث روايته الأولى ( الهضبة المنسية ) عن طريق بطل روايته " مقران " و ذلك من خلال " مقران " ثم عندما يموت الأخير يأخذ الكاتب مكانه بطريقة بارعة موضحا أن قصة " مقران " أصبحت ذائعة الصيت « لكن قصة مقران معروفة لدى الجميع عندنا و أن كل واحد يستطيع أن يروي نهايتها الغربية »<sup>1</sup> .

أما في رواية ( إغفاءة العادل ) فيعتمد على أسلوب يوميات " أرزقي " و التي كانت عبارة عن رسائل موجهة إلى أستاذه " بوري " Poiré " و إلى المجتمع الغربي بأكمله تحمل الشكوى و الندم و العتاب « إنني أشعر بالأسف الشديد و بالندم على تصرفي ذلك و على الخداعي بتلك الأقوال الزائفة و تلك المبادئ الكاذبة »<sup>2</sup>، كما كان يستعين أيضا بالسرد المباشر و قد لجأ إلى هذا الأخير كذلك في كل من رواية ( الأفيون و العصا ) و ( العبور ) حيث تحرر فيهما من أسلوب اليوميات .

ف "معمري" إذن يختار موقعا محددًا ، أو يختار اللاموقع ، أو يلجأ إلى الإفادة من تعدد المواقع غالبا ، لذلك كان السرد عنده متعدد الأصوات ، فالشخصية عنده لا تعيش الأحداث لوحدها و إنما تحملها و تنقاسم الكلام مع أشخاص آخرين، إنه ليس بالإمكان الخلط بين صوت الكاتب و صوت الشخصيات .

<sup>1</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1925-1967 )، ص 263.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, p137.

## الفصل الثاني:..... تظاهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و يلجأ "معمرى" إلى « اختيار عدة رواة، و تركه كل راو يحل في إحدى الشخصيات و يعبر عن وجهة نظرها، رغبة منه في الإشارة إلى حياده و تعدد مواقعه»<sup>1</sup>، و تتنوع طرائق السرد عند عنده بحسب الزاوية التي ينظر منها الكاتب إلى حوادث روايته.

إن الكتابة عنده فريدة و لكنها غامضة و يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من السرد في النص المعمرى: سرد لاحق، يحكي فيه الكاتب ما حدث من قبل، سرد سابق و يحكي فيه الأحداث قبل وقوعها، و سرد متزامن : يحكي فيه مباشرة ما يحدث .

كما أن القص عند "معمرى" قد يسير بشكل أسرع من الحكاية ذاتها كما هو الحال في رواية (الهضبة المنسية) على عكس ذلك رواية ( العبور ) التي يشير " معمرى" فيها إلى مجموعة من الأحداث الطويلة التي تخص " مراد" بصورة موجزة جدا.

و لا شك أن أي راوي يقوم في "سرد" بعمليتين بارزتين تلازمان أي عمل روائي، هما القطع و الاختيار، أو الحذف و الإثبات و هذا ما لمسناه في أعمال الكاتب " مولود معمرى " الروائية فقد يحدث القطع في بعض الأحداث أثناء هذا السرد مما يسمح للقارئ أن يكون في النص ، و لكن يضعه في مواقف معقدة بسبب استحضار بعض الحقائق التي يفترض أنها حدثت و لكنها لم تسرد .

فالخلق الفني يعني الاختيار ، الاختزال و الحذف عند " معمرى " و الحذف يعد شكلا من أشكال الذوق بل أحيانا شكلا من أشكال الفن ذاته .

كما تجدر الإشارة إلى حضور تقنية "الFLASH باك" في السرد المعمرى غالبا وقد تجلّى ذلك في رواية ( العبور ) بكثافة أثناء ذكر طفولة "مراد"<sup>2</sup> على سبيل المثال و في تصوير رحيل "مراد" عن القرية أول مرة في نهاية الثورة

<sup>1</sup>- روجي الفيصل سمر : الرواية العربية البناء و الرؤيا ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003 ، ص 13، 14 .

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri ,la traversée, p15 -16.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

التحريرية<sup>1</sup>، و ذكر الدور النضالي " لـ "طامازوزث" ، المعروفة بـ " طاما" أثناء الثورة<sup>2</sup> كما تجلت تقنية الفلاش باك أثناء سرد الكاتب لحادثة انتقال الأخت "آن ماري" إلى الجبل بمساعدة أحد الأشخاص لإسعاف بعض الجرحى هناك<sup>3</sup>، و ذكر الكاتب لحرب فيتنام على لسان الملازم الفرنسي<sup>4</sup>.

إن هذه التقنية أيضا في الرواية تضع القراء أمام وجهين لقرية " تازقا" ، قرية الماضي و الحاضر المتناقضتين تماما فتازقا الحاضر هي " تازقا الأشباح" ، ينتظر فيها شيوخها الموت<sup>5</sup> لقد تحملوا الجوع، السجن ، التعذيب ثم نسوهم هنا ...<sup>6</sup> و هذا الأمر في نظر في " مراد" نسخة لما كان سائدا من قبل.

و يخرج "مراد" محمومًا ليؤثث القرية بوجوهها القديمة التي ماتت أو رحلت ، إن " تازقا " الحقيقية هي " تازقا " "مقران ، مناش ، موح ، و عزى ...." ما يجعل من روايات " معمرى " كتلة متكاملة بأحداثها و أشخاصها والحنين الذي يسكنهم.

و ترتبط الحبكة "Intrigue" ، ارتباطا وثيقا بالجانب الدرامي في روايات " مولود معمرى " و ينظم الكاتب تسلسل أو تداخل أحداثها بوعي انتقائي و هو ذات الوعي الذي يختار به " معمرى " رواته الذين عبثا يختفي في ظلهم أثناء سرد أحداث الرواية و قد شبه ( فلوبيير ) كاتب الرواية بالله في الكون ، فهو لا يرى ، و لكنه قدير على كل شيء، و نحن نشعر بوجوده في كل مكان ، و لكن لا نعاينه ... و هذا هو العقد الخفي ما بين الكاتب و قرائه.

---

<sup>1</sup> - Ipid, p 55 - 60.

<sup>2</sup> - Ipid, p 47

<sup>3</sup> - Ipid , p 37.

<sup>4</sup> - Ipid, p 39.

<sup>5</sup> - Mouloud Mammeri ,la traversée, p 64.

<sup>6</sup> - Ipid, p 55.



## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

إن الأحداث التي تشكل الحكمة في رواياته كلها تنقاد بخيوط خفية، لتنتهي نهاية غير اعتباطية، و لتقدم وجهة نظر أو رؤية أو معنى.

إن الكاتب الجيد كما يقول ( إدغار آلان بو ) هو من يضع نصب عينيه السطر الأخير عندما يكتب السطر الأول ..و يعرف موضع قدمه عند كل خطوة يخطوها فيحقق بذلك نجاح روايته و هو ما يتوفر بين أيدي " مولود معمري " .

### II-4- الوصف

يعمد الروائيون إلى الوصف عموما لغايات منها: التمهيد للأحداث بلخلق البيئة الزمنية و البيئة المكانية، و تحديد و توضيح معالم شخصيات الرواية و قد كانت هذه أهم أهداف " معمري " من العنصر الفني. و يتميز الوصف في الرباعية عامة بالدقة و الشعاعية لاسيما في روايته (الهضبة المنسية ) التي تعتبر عمل فني ممتاز بناؤها متماسك ، و أسلوبها جميل و جزل ، تمازجها روح شاعرية ساحرة و خاصة في رسم الطبيعة الجميلة في جبل " زاوية " و في وصف حلقات الذكر في عمق و فرادة و إيجاز : « و أخذت الموسيقى تصدح / موسيقى وحشية رتيبة كضربات المطارق ، عنيفة تارة و حلوة ناعمة كالقبة تارة أخرى و في كل زاوية رجال و نساء تهزم القشعريرة و كانت عزي تسمع سقوط كتل أجسام الدراويش التي أنهكها التعب فيحملهم إخوانهم إلى زاوية المكان بعد أن يكونوا قد غطوا بالبرانيس أجسادهم المتصببة عرقا <sup>1</sup> ، إنها تصويرات رائعة و نادرة بعبارات موجزة، مرتبة و مناسبة في سهولة رغم تعقد الموقف الموصوف و ضجته و حركته .

و قد لاحظنا أن " معمري " يتولى زمام الوصف أحيانا بواسطة أعين شخصياته التي تتبع جمال المناظر وتعمق فيها و تنصهر فيها كما رأينا في رواية " العبور " ، و تأمل "أماليا" لجمال غرداية <sup>2</sup> ، إنه وصف دقيق جمالي و أنيق <sup>1</sup>

<sup>1</sup>- ابراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر، ص 126 ، 127.

<sup>2</sup> - Mouloud Mammeri , la traversée, p 60.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و الوصف عنده مرتبط أيضا بنوع من المقارنة أو الربط بين الماضي والحاضر ، لاسيما حينما يجعله - كما أسلفنا - عبر أعين شخصية عميقة متأملة و مفكرة كما " مراد" فهو يعود دائما إلى الماضي في اختيار الأماكن بفعل الحنين أو يربطه بالحاضر في تأملها<sup>2</sup> و تتجلى دقة الوصف و رومانسيته كذلك في أعماله عن طريق ذكر الواحات و أجواء الصحراء الليلية التي تهددها أنغام " اهليل" <sup>3</sup>، على الرغم من واقعية مضمون الرواية، سوداويتها و لمحة الحزن و اليأس الظاهرة فيها إلا أن هذا الوصف الرومانسي يبدد تلك الواقعية القاسية .

و يتمكن الكاتب من استحضار أجواء وصف " الجبال " الواردة في ( الهضبة المنسية) وذلك في رواية " العبور" ذات المكان المفتوح " الصحراء " من خلال تصوير عودة "مراد" إلى القرية محمومًا ، مترنحا ، هائما على وجهه في الجبال<sup>4</sup> و هذا المشهد يذكرنا بمشية "مقران" في الجبال الذي كان يسمع هو أيضا صوتا يناديه « أنا زوجتك »<sup>5</sup> كذلك مناداة " مراد" على الموتى و هو محموم، يذكرنا بمناداة " موح " على الذين توفوا منذ زمن طويل<sup>6</sup> فما يحز في نفس "مراد" أن لاشيء اليوم يشبه ماكان بالأمس و أن شباب القرية لم يحقق الحلم المذكور في رواية "الهضبة المنسية" : الالتقاء جميعا لفتح " تاعسيست" <sup>7\*</sup> التي احتفظت "عزي" بمفتاحه. تلك الغرفة المطلة على القرية أو البرج المتميز و التي كان يجتمع فيها الشباب اناثا و ذكورا او البرج المتميز يقضون فيه سهراتهم يمرحون و يحملون

<sup>1</sup> - Ipid, p 35 ,36.

<sup>2</sup> - Ipid, p 66.

<sup>3</sup> - Mouloud Mammeri, la traversée, p 132.

<sup>4</sup> - Ipid, p 113 -126.

<sup>5</sup> - Mouloud Mammeri, la colline oubliée, P 101,102 .

<sup>6</sup> - Ipid, p 103

<sup>7</sup> - تعساست : لغة: الحذر و الحيطه و الحراسة و في سياق الرواية " الغرفة المطلة على القرية و من فيها.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

بغذ أفضل ، إن اجتماع الشباب بهذا المكان هو رفض للمكان التقليدي "ثاجمايت" <sup>1</sup>\* و لكنهم يتفرون حين شعروا بالإحباط لعدم قدرتهم على توصيل أفكارهم الجديدة لبيحث كل واحد عن المسلك الذي ينقذه <sup>2</sup>.  
و يقوم الروائي بتأنيث وصفه لقرية " تازقا" في رواية ( العبور ) بذات العناصر (الليل، القمر الذي يكون غالبا أحمر، نباح الكلاب...) <sup>3</sup> الموظفة في رواية ( الهضبة المنسية ) ما يثبت أن الوصف عند " مولود معمري " لوحة ساحرة تتكامل أجزائها و تتكرر بطريقة لا نظير لها في كل ربايعته.

### II-5 - العنوان

و يمثل العنوان عند الكاتب " مولود معمري " في أغلب أعماله أولى الوحدات الدلالية المكونة لبنية العمل الإبداعي نظرا لما يتمتع به من خصائص تعبيرية و جمالية كبساطة العبارة و كثافة الدلالة على نحو ما نجد مثلا في عنوان روايته الثانية " الأفيون و العصا " إذ يتشكل العنوان من وحدتين دلالتين أساسيتين " الأفيون و العصا " و هو يطرح تساؤلا في ذهن المتلقي حول علاقة الكلمتين ببعضهما و كأن الكاتب يهيب القارئ للدخول في عالم غريب و قاسي ، و تتجلى الكلمتان في سياق النص عند الإشارة إلى العنوان في الصفحة الثالثة عشر في الرواية ، فسياسة الاستعمار الفرنسي كانت دائما سياسة الأفيون و العصا ... أي الترغيب و الترهيب في التعامل مع الشعب الجزائري ، ففرنسا اعتمدت في البداية سياسة الإدماج التي حاولت من خلالها جعل الجزائر جزءا من فرنسا و عملت على نشر لغتها و ثقافتها و طمس مقومات الشخصية الوطنية بالمقابل و ذلك ما يشبه سياسة التنويم و التخدير التي قوبلت برد فعل عنيف تجسد في اندلاع الثورة التحريرية الكبرى تعبيرا عن رفض الشعب الجزائري القاطع للوجود الاستعماري الغاشم و هذا ما جعل فرنسا تلجأ إلى سياسة القتل و السجن والتعذيب و القهر ، و بذلك تتضح الصورة الدلالية للعنوان .

<sup>1</sup> - ثاجمايت : يقصد بها الجماعة أي النادي حيث يجتمع أهل قرية

<sup>2</sup> - Jean Dejeux, Situation de la littérature Maghrébine de langue française, p40.

<sup>3</sup> - Ipid, p 85.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

و أيضا في روايته " العبور" التي يأخذ العنوان تأويلا ثلاثيا للعبور إذ تتداخل التأويلات الثلاثة و تعكس بعضها البعض : الأول ظاهري يقود مجموعة من الأشخاص من نقطة إلى أخرى مما يسمح لها للوصول إلى مكان معين و الثاني دائري يقود مجموعة صغيرة من الجزائر إلى الجزائر بعد رحلة إلى المناطق الصحراوية ، أما الثالث فلا يخص إلا فردا واحدا و يقوده إلى طريق مسدود . فعناوين "معمرى" في أغلبها ذات كثافة دلالية و إغراء وتشويق كبيرين.

إن الرباعية في جميع بنياتها الصغرى و الجزئية ( العنوان ، المكان ، الزمان ، الشخصيات ،السرد.. ) كلها تشكل بنية كاملة مستوحاة من واقع الثورة التحريرية الكبرى لذا جاءت أحداثها مرتبطة بالواقع الجزائري المعيش و تصور واقعا مريرا يسيطر عليه الاستعمار، مصورة كل أنواع الظلم و البؤس و الشقاء التي عاشها أبناء الجزائر في تلك الحقبة التاريخية .

و أخيرا فلقد كان لـ "معمرى" لغة خاصة في الكتابة أولاها كل العناية و الاهتمام و تعتبر هذه الأخيرة أهم عنصر في الرواية و ينبغي أن تعبر عن إحساس و فكر المؤلف بشكل مشوق يجذب القارئ ، و يشترط فيها " عبد المالك مرتاض " الانسجام و التناغم و الانتظام و يقول بأن اللغة الإبداعية نسج جميل موشى و أن الأديب الحق هو من يجعل اللغة تتوزع على مستويات دون أن يشعر القارئ باختلالها و ذلك بالإبقاء عليها في مستوى فني موحد كالبنية الكبيرة التي تجري في فلكها بنى مختلفة دون أن تتفكك و تنعزل<sup>1</sup> و هو يطالب بتبني لغة شعرية عالية المستوى و هذا ما نلاحظه على لغة الكاتب " مولود معمرى " في رباعيته كما نلاحظ أسلوبه و منهجه الخاص الذي ميزه لاشك عن غيره من الكتاب الناطقين باللغة الفرنسية ، «... و أسلوب معمرى أسلوب رصين سلس و الاختيار الموفق يظهر لدى الكاتب في اختياره للكلمة الصورة التي تعبر عن النماذج التي اختارها الكاتب، و يشعر القارئ بأن "معمرى" مسيطر تمام السيطرة على اللغة التي اختارها ليعبر بها عن نتاجه

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، دار الغرب ، دت ص 168.

## الفصل الثاني:..... تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الفني «<sup>1</sup> ، كما كانت له طريقته الخاصة في تناول الموضوعات الأدبية فتناوله مثلا لموضوع الفقر - المذكور سابقا كان من زاوية المراقب الفذ الذي لا تقيده عاطفة ، و قد استطاع تصوير الواقع من وراء ظلال رومانسية لطفت بشاعة الحياة الواقعية و قسوتها و ذلك دون تشويه للوقائع الحقيقية و لم يكن ذلك بالأمر اليسير وتكمن صعوبتها في « الإبقاء على توازن خطير بين الاستعباد الظاهري و التجرّد العقيم »<sup>2</sup> .

ف "معمرى" يعرف الحدود التي يقف عندها الكاتب و هو يصور الواقع إذ يقول « يجب أن نحيا حياة الرجال دون أن ننضم حتما إلى أهوائهم التي لا تدوم أكثر من يوم أو إلى تحيزاتهم التي تستمر عدة أعوام و يجب أن ننتقل إلى ما هو أساسي في مصير الرجال، دون أن نهرب بالضرورة من الأحداث التي تشكل المأساة اليومية »<sup>3</sup> و هذا ما يدل على إيمان "معمرى" بالصدق الفني ، فالأديب ينبغي أن يكون صادقا مخلصا في كتاباته بحيث يعطي للقارئ صورة حقيقية عن الحياة لكنه يؤمن أيضا بأنه من المستحيل التصريح بكل الحقائق و لذلك يلتزم الصمت أمام تلك الحقائق العارية التي يصعب نقلها من الواقع إلى الأدب .

و يشرح موقفه قائلا: « إن الروائي مضطر لتجاهل بعض أوجه الحقيقة، كما لو لم تكن موجودة، أوجه ربما تبدو للآخرين هامة و أساسية. فمن يقول: خلق في يقول اختيار، و أن البتر يعتبر شكلا من أشكال الذوق و أحيانا شكلا من أشكال الفن »<sup>4</sup> و الروائي ليس مؤرخا لذا يجب عليه الالتزام ببعض القواعد الفنية المتعلقة بالرواية<sup>5</sup> وأبعد من هذا فإن الصدق الفني يختلف عن الصدق التاريخي ، « توجد حقيقة للفن تتجاوز الحقيقة التاريخية،

<sup>1</sup> - سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر، ص 184 .

<sup>2</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1967-1925 ) ، ص 94 .

<sup>3</sup> - عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1967-1925 ) ، ص 94 .

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص ن .

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص ن .

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

وهذه الأخيرة هي غالبا ما تكون حقيقة زمن معين ، أو ظروف خاصة و الحقائق التاريخية يمكن أن تتابع دون أن تتماثل ، فتحل الواحدة مكان الأخرى أو تمحوها <sup>1</sup> .

و لا يعني هذا التضحية بالحقيقة من أجل الفن غير أن مهمة الكاتب وواجهه في نظر " معمرى " تكمنان في أن يندفع قدر المستطاع ، حتى يصل إلى ما يعتقد الحقيقة الأساسية تلك التي تقوم عليها الحقائق المؤقتة <sup>2</sup> و قد عرفت الكتابة الروائية بذلك انزياحا جماليا و فكريا عن الرواية الكولونيلية و عن الإيديولوجية التي دعت إليها "مدرسة الجزائر" ذات النظرة المحايدة و التي توخت التفاهم بين السكان المحليين " الأهالي " و الأوربيين المستوطنين و الذي يناصر أصحابها سياسة الإدماج .

و قد أشاد الجزائري " مراد يلس " الباحث في الدراسات الانثروبولوجية من جامعة باريس في « حديثه عن مولود معمرى و بمنهجيته في الكتابة التي تجمع بين التقاليد الشفوية للمجتمع الجزائري و الأسلوب الأدبي الذي يميز رواياته و قصائده » <sup>3</sup> .

و هكذا فقد اعتمد " معمرى " على منهج خاص به - كما أسلفنا الذكر - في كل كتاباته الأدبية عامة و في رباعيته خاصة و حتى الانثروبولوجية و بذلك استحق التقدير من قبل الدارسين في الشرق و الغرب ذلك أن اتصال " معمرى " بالثقافة الفرنسية كان اتصالا قويا مزدوجا و مباشرا ( المدرسة الفرنسية و التجنيد الإجباري و الهجرة ) و غير مباشر ( الكتب و الصحف و المكتبات الفرنسية ) و هذا الاتصال أثمر تأثيرا فرنسيا قويا على أدب "مولود معمرى" و أفرز روايات تقف في مصاف الروايات العالمية و لكن بنكهة جزائرية بربرية وطنية .

و« نتاج معمرى الأدبي - عموما - يعطي دليلا ساطعا على وحدة العملية الأدبية الجزائرية التي تعبر عن حياة أمة بأكملها بجميع فئاتها كما أن قصصه بمشوارها الفني و الإستاتيكي ( الجمالي ) الرفيع تدل على مدى التطور الذي

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ص 95 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ن .

<sup>3</sup> - مراد يلس، الذكرى العشرين لرحيل مولود معمرى، جريدة صوت الأحرار، عدد 1250 ، نوفمبر، 2009، الجزائر، ص 12.

## الفصل الثاني:.....تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

---

وصلت إليه القصة الجزائرية الحديثة من حيث القيمة الفنية ، رغم أن معمرى قد اختار جل أبطاله و حوادث قصصه من صميم حياة المجتمع البربرى «<sup>1</sup> و هذا ما جعله كاتباً مبدعاً، متميزاً لا ينسى .

---

<sup>1</sup>- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر ، ص171.

خاتمة



## خاتمة

- سعى هذا البحث إلى مقارنة أهم ظاهرة طرحها الواقع الثقافي و الأدبي الجزائري و المتمثلة في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية و إشكالية الهوية فيه و قد خلص إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:
- إن ظاهرة الكتابة باللغة الفرنسية ظاهرة أدبية ثقافية مرت منذ نشأتها إلى اليوم بمحطات طويلة و متغيرة و مراحل مختلفة ، اتخذت في كل منها أشكالاً و خصائص معينة ، شأنها في ذلك شأن أي ظاهرة أدبية و ثقافية أخرى .
  - هذه التجربة الجزائرية تعد حالة انفردت بها الجزائر عن غيرها من الأقطار العربية و قد شكلت صوتاً متضامناً مع صوت الثورة التحريرية و يمكن اعتبارها اليوم رمزا عن صمود الجزائر و كفاحها ضد الاستعمار .
  - الكتابة بالحرف الفرنسي لدى هؤلاء الكتاب الناطقين باللغة الفرنسية لم يكن خياراً لغوياً بل نتيجة ظروف ارتبطت بالاستعمار و هذا لم يمنع أعمالهم أن تعكس الثقافة العربية و الجزائرية و الأمازيغية الأصيلة .
  - الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية لم تكن بمنأى عن الثورة التحريرية الكبرى و إنما ظهرت لهذا الغرض ، و قد أعطت منذ البداية أولوية خاصة للمسألة الوطنية و الهوية الجزائرية و عدتها جزءاً لا يتجزأ من كيانها و التزمت بها أشد التزام .
  - الاستعمار الفرنسي كان يريد أن يجعل من الكتاب الجزائريين بياضاً استعماري و رموزاً رجعية تخدمه على الصعيدين الاجتماعي و الثقافي ، لكن العكس هو الذي حدث فقد سجلوا أحداث الثورة و احتووها إبداعياً و صوروا ما كابدهته الجزائر من الاحتلال و قسوته و رووا ما سكت عنه المثقف الجزائري .
  - الكاتب الجزائري كان على درجة كبيرة من الوعي الفكري و الثقافي بأهمية الرواية كمجال تواصل فاعل لمد جسور التواصل مع العالم المحيط به و تأسيس مسار أدبي حديث في الجزائر .

- الشكل اللغوي المستعار الذي تعرض نفسها من خلاله الرواية الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية لم يكن ليحجب الواقع الجزائري و القضايا الوطنية و القومية.
- الكتاب الجزائريون و إن انبهروا بفن الرواية و اشتغلوا على سجل لغوي فرنسي إلا أنهم لم يكرروا أو يقلدوا الأتمودج الفرنسي البعيد عن الموم الوطنية للكتاب الجزائريين و عن مشاعرهم الثورية و عن تطلعاتهم التي تتمحور حول الحرية و الاستقلال .
- قدم الكتاب الجزائريون عامة و "مولود معمري" خاصة أعمالا مفعمة بالأفكار الإنتمائية، مختلفة عن النص الكولونيالي الذي كانت له تصورات عن الإنسان الجزائري إذ يراه بعين " اكزوتيكية ، إغرابية تحقيرية و متخوفة، كما تجاوزوا تقديم الإنسان الجزائري في صورته الفلكلورية السياحية الاستهلاكية و تناول مواضيع بسيطة و تافهة وأسسوا لمتن جديد يعكس ذواتهم و طموح الإنسان الجزائري في السيادة و الحرية .
- جاءت أحداث روايات مولود معمري و شخصياتها كلها مستوحاة من الثقافتين العربية و الأمازيغية ما يعني إحساس الكاتب بانتمائه العميق لهذا الكيان المختلف كل الاختلاف عن الكيان الفرنسي و إن توسل لغة العدو للتعبير عن مأساة وطنه .
- تمثل الرواية الجزائرية الفرنسية اللغة لونا جديدا من ألوان الكتابة في الأدب الجزائري ما يضيف عليه خصوصية تميزه عن باقي الآداب الأخرى كما يمكن تصنيفها ضمن الأدب الرفيع الراقي.
- الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية هي المؤسسة للرواية الجزائرية ، لقد كانت تجربة مميزة في المشهد الأدبي و الثقافي الجزائري ، ساهمت في بلورة الوعي الفني الإبداعي الجزائري و قد شكلت لغتها المستعارة مجالا خصبا لعدد من الدراسات و الرؤى النقدية للكشف عن مميزات الفنية .
- الكتابة باللغة الفرنسية ماتزال قائمة و ستطول مادام هناك أقلام شابة تشبث بها و ألسنة تتحكم في نظامها وقواعدها و تنظر إليها كإحدى الإستراتيجيات التواصلية الإبداعية الهامة على الرغم من تغير ظروف الواقع الجزائري .

■ و خلاصة القول أن الكتابة باللغة الفرنسية كانت عاملا حاسما في بلورة الهوية الوطنية في صراعها مع المستعمر الفرنسي و ذلك من خلال أعمال مجموعة من الكتاب مثل "مولود فرعون، مولود معمري ، محمد ديب ، مالك حداد ، كاتب ياسين ، آسيا جبار و مراد بوريون " الذين اقتربوا بأعمالهم الأدبية من الجوهر العميق للهوية الوطنية و من هنا تبدو المغالطة الكبيرة لتلك الفئة المعربة التي سارعت إلى نفي كل ما ليس مكتوبا باللغة العربية واعتباره أدب غير جزائري بعيد عن الهوية الوطنية التي تعتمد على البعد اللغوي لتحقيق الإنتماء للوطنية الجزائرية وهو حكم يعوزه الفهم الكبير لأهمية الخطاب المكتوب باللغة الفرنسية و للخلفيات المتراكمة من تاريخ تشكله .

■ و بعد كل هذا فهل نستطيع فعلا حرمان كتاب هذه الفترة العسيرة من حياة الأمة من التمتع بصفتهم مؤسسين لفضاء أدبي جزائري يشغل مكانه ضمن التاريخ الفكري و كتب ليرد بطريقته و أسلوبه على الآخر في وقت لم تكتمل فيه الرواية المكتوبة بالعربية – كما أشرنا إلا في سنة 1947؟

و هل بالإمكان تجريدهم من وطنيتهم و هم الأوائل الذين أعلنوا عن المقاصد الوطنية و حق الجزائر في الاستقلال و الوجود كأى دولة أو أمة طموحة؟

# قائمة المصادر و المراجع

المصادر و المراجع المعتمدة

المصادر الأجنبية:

1. Mouloud Mammeri, la colline oubliée, ed, plon paris, 1952.
2. Mouloud Mammeri, le sommeil du juste, ed, Plon, Paris 1955 .
3. Mouloud Mammeri, l'opium et le bâton, Paris , Plon 1965.
4. Mouloud Mammeri, la traversée, Alger, - EL otmania , éd, 2005.

المراجع العربية:

1. ابن رشد، تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس، تحقيق عثمان أمين، القاهرة - مصر، 1958.
2. أبو القاسم سعد الله ، هموم حضارية ، ط1، دار الأمة ، الجزائر ، 1993.
3. إبراهيم الكيلاني ، أدباء من الجزائر ، دط ، دار المعارف مصر ، القاهرة ، ديسمبر 1958.
4. ابراهيم سعدي ، عودة إلى مسالة الرواية و الهوية ، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة ، دط، مطبعة اقتياع ، برج الكيفان الجزائر ، 2004 .
5. أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2 ، 1988.
6. أحمد منور ، لأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها ، دط ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
7. أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية - دراسة سوسيو نقدية، ط 1، دار ميم للنشر-الجزائر، 2013.
8. أمين الزاوي، تكون الإنشاء الروائي في المغرب العربي، دراسة، منشورات قصر الثقافة و الفنون، وهران، الجزائر، 1994.

9. أنور الجندي، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1965، دط.
10. بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر ، 1830-1989 ج 2 ، دط ، دار المعرفة ، 2006.
11. جعفر يابوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007.
12. حنفي بن عيسى ، الرواية الجزائرية المعاصرة ،مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام ، الجزائر ، السنة 2 ، العدد 9 ، 8 ماي، جويلية ، 1972.
13. الزبير ذويبي خثير ، سيميولوجيا النص السردي ، مقارنة سيميائية لرواية الفراشات و الغيلان ن دراسة ، مطبعة دار هومه ، ط1، رابطة اهل القلم ، سطيف ، الجزائر.
14. رزان محمود ابراهيم ، خطاب النهضة و التقدم في الرواية العربية المعاصرة ، ط1 ، دار الشروق عمان، الأردن ، 2003.
15. سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر ،دط، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ،1967.
16. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1983 .
17. عبد الله ركيبي ، الفرزكفونية مشرقا و مغربا ، دط ، الكتاب العربي، الجزائر ، دت.
18. عبد الله ركيبي ، القصة الجزائرية القصيرة ، الجزائر ، م.و.ك، ط1، 1983.
19. عبد الله العروي، الايدولوجيا العربية المعاصرة، ط1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1995.
20. عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس مراجعة خليل أحمد، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت، ط 2، 1982.
21. عبد المجيد حنون ، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، دط ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007.

## المصادر و المراجع المعتمدة

22. عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، دار الغرب ، دت.
23. عبد الكبير الخطيبي ، الرواية المغربية ، تر ، محمد برادة .
24. فوزي الزملي ، شعرية الرواية العربية ، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية و دلالاتها، دط، مؤسسة القدوس الثقافية، دمشق ، سوريا ، 2007.
25. محمد شاهين ، آفاق الرواية البنية و المؤثرات ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001.
26. محمد بوشحيط ، الكتابة لحظة وعي ، مقالات نقدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، د.ع.ط.
27. محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، د ، ت ، ط
28. محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1966.
29. مخلوف عامر ، الواقع و المشهد الأدبي - نهاية قرن و بداية قرن- المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2011.
30. نعيصة جهاد عطا، في مشكلات السرد الروائي - قراءة خلافية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001.
31. واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 .
32. يعنى العيد ، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية و تميز الخطاب، ط1 ، دار الآداب ، بيروت ، لبنان، 1998.
33. يوسف الأطرش ، المنظور الروائي عند محمد ديب ، دراسة، دط ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر 2004.

## المراجع المترجمة إلى العربية :

1. آدم كوبر ، الثقافة - التفسير الأنثروبولوجي، ترجمة صباح صديق الدملوحى، المنظمة العربية للترجمة، دت.

2. عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ( 1967-1925 ) ، تر د ، محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982.

### المراجع الأجنبية:

1. Afifa Bererhi , " La traversée ou la remontée vers soi " ,Itinéraires et contacts de culture, vol,15-16,1-2trim,92,Paris, L'Harmattan,1993.
2. Antoine Berman,Cours inédits sur " la langue maternelle " Aparaitre aux PUV,en 2007.
3. Anne Maurel, La critique littéraire, Paris, Hachette, ed, 1998.
4. Christiane Ndiaye, Introduction aux littératures francophones, Afrique2 CARAIBE, MAGHREBE, Les presses de l'université de Montréal.
5. Henri Meschonnic , Poétique du traduire ,Lagrasse ,Verdier ,1999 .
6. Jean Dejeux ,Situation de la littérature Maghrébine de langue française.
7. Mariannick Schopfel ;les ecrivains francophonesdu maghreb ;les nomandies de France ,2000.
8. Mildred Mortimer, the désert in africain " L'esprit créateur, vol XXXVI, n1,spring 1986.
9. Malek Hddad « les zéros tournent en rond »(essais) Ed.F.Maspero ; Paris ,1961.



10. Malek Haddad , je t'offrirai une gazelle,Paris,Julliard ,1959.
11. Malek Haddad,L'élève et la leçon,Paris,Julliard,1960.
12. Mohamed Dib, La grande maison, paris, Seuil, 1959.
- 13.Mouloud Mammeri,Extraits de la revue Lybica,Ahellilly,pdf-AdobRaeder .
- 14.Mouloud Mammeri, le rôle de la littérature Algérienne d'expression Française ,El Moudjahid-oct 28 /1966.
15. Mourad Bourbon: La mémoire du peuple, Alger 1967.
- 16.Rachid Boudjedra: La repudiation, Paris, Denoeil 1969.
- 17.Rachid Miomouni: L'honneur de tribu, Gallimard, Paris 1989.
- 18.Rabah soukhal le roman algerien de langue francaise (1950-1990) thématique, édition publisud, paris ,K ,2003 .
- 19.Rolane Barthe, (1953), le degré Zéro de l'écriture, Paris, Seuil
- 20.«Rencontre au MAROC de l'orient et de l'occident » confirient; No :23-24 sept ;octo1962.
- 21.« les écrivains Algériens débattent les problèmes de la culture « El Moudjahid ,2 Feb ,1962.
- 22.Taher Djaout, Entretien avec mouloud Mammeri, la cité du soleil – la cité du soleil( inedit) .itineraire 163.

23.Wadi Bouzar, Lecture maghrebines, Alger-OPU, Paris, -Publisud, 1984.

24. Revue Awal, numero special, 1990.

#### المجلات:

1. الطاهر بكري ، إشكالية الأدب المغاربي الناطق بالفرنسية و مسألة اللغة ، التبيين ، فصلية تصدر عن الجاحظية، العدد الفصلي الأول ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1990.
2. فاروق يوسف اسكندر -مولود معمري و صراع الجيلين - مجلة الفكر المعاصر ، العدد 35، يناير 1968.
3. محمد الصالح دميري- مجادلات حول الهضبة المنسية لمولود معمري- تر : حنفي بن عيسى ، مجلة الثقافة ، العدد ،102،الجزائر ، 1989.
4. وجيه فارس، من دلالات تحولات النص الأدبي ، مجلة اللغة و الأدب، العدد 15، أبريل، 2001 ، الجزائر .

#### الجرائد :

- 1.مراد يلس، الذكرى العشرين لرحيل مولود معمري، جريدة صوت الأحرار، عدد 1250 ، نوفمبر، 2009، الجزائر.

#### الرسائل الجامعية العربية:

1. أمين الزاوي ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي بالأيديولوجيا من 1830 إلى 1982، رسالة ماجستير، دمشق-سوريا 1983، ص 320.

1. Ahmed Boualili, lexicologique et pragmatique de l'oeuvre romanesque de Tahar Djaout, mémoire de magister, sous direction Abbes Fara Yasmine, Alger, 2003, 2004

المعاجم و الموسوعات العربية:

1. ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد 1، دار صادر للطباعة و النشر ، ط1، بيروت ، لبنان ، 2005.
2. مجموعة من الباحثين، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، دط ، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث ، الجزائر ، 2007.

المواقع الإلكترونية:

1. <http://www.aranthropos.com/>
2. <http://www.lesanarab.com/>
3. [www.djazair news.info](http://www.djazairnews.info)

المطابق

## الملحق

### مولود معمري بين الحياة و الإبداع:

#### 1. حياته:

##### أ. مولده و دراسته :

ولد الأديب و الأثنروبولوجي مولود معمري يوم 28 ديسمبر 1917 بقرية تاوريرت مومن ببني يني (منطقة القبائل الكبرى) التابعة اليوم لولاية تيزي وزو، ينحدر من أسرة ميسورة حيث كان أبوه " سالم " أمين القرية ، التحق بكتاب القرية أين حفظ القليل من القرآن الكريم ، وتعلم اللغة العربية ، أكمل دراسته بالمدرسة الفرنسية بقريته، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية أرسله أبوه إلى الرباط عاصمة المغرب الأقصى و عمره لا يتجاوز الحادية عشرة لمواصلة دراسته الثانوية هناك في مدرسة " الليسي جورو " ، لكنه عاد إلى الجزائر قبل أن ينهي دراسته فيها، عشرة ، ليتم دراسته الثانوية بثانوية بوجو ثانوية الأمير عبد القادر حاليا بباب الواد بالعاصمة بحصوله على شهادة البكالوريا في الآداب الكلاسيكية.

انتقل مولود معمري بعد ذلك إلى فرنسا ليواصل تخصصه في الآداب بثانوية Louis le GRAND ، باريس<sup>1</sup> و لكنه توقف عن الدراسة عندما تم تجنيده من قبل الاستعمار الفرنسي بصورة إجبارية و بعد ذلك تم إخلاء سبيله سنة 1940 ، فالتحق بجامعة الجزائر منتسبا إلى كلية الآداب ، ليتحصل على شهادة ليسانس في الآداب. رغب في مواصلة دراسته بتحضير شهادة دكتوراه في الآداب اليونانية، لكن لم يسعفه الحظ بسبب العراقيل الاستعمارية فاضطر إلى العودة إلى الجزائر سنة 1947 ليدخل إلى الحياة المهنية و يترشح غداة نهاية الحرب إلى مسابقة توظيف أساتذة الآداب.

<sup>1</sup>- عايدة بامية أديب ، تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ص 66.

### ب. حياته المهنية

بعد انتهاء الحرب عمل "معمرى" فى المدارس الثانوية لتدريس الأدب ، حيث درس سنة 1947 بالمدينة ثم بعد ذلك بين عكنون ، و نجح فى تحضير الأستاذية فى الأدب.

عند اندلاع الثورة المسلحة عام 1954 ، و وضع نفسه فى خدمة الثورة ، وعندما علمت القوات الاستعمارية بنشاطه السياسى ، استهدفته سنة 1957 فقرر اللجوء إلى المغرب حيث أمرته قيادة الثورة بالالتحاق بممثليها فى المغرب الأقصى و مارس إلى جانب ذلك التدريس بإحدى ثانويات الرباط طيلة السنوات السبع للثورة و بعد الإستقلال، عاد معمرى إلى الجزائر و تم تعيينه أستاذا للأدب و اللغة الأمازيغية بجامعة الجزائر.

### ج. وفاته

توفى "مولود معمرى" أثناء عودته من إحدى رحلاته إلى المغرب الأقصى ، بعدما شارك فى ملتقى علمى هناك<sup>1</sup> يوم 26 فيفري 1989 ، إثر حادث مرور على مشارف مدينة عين الدفلى ، أودى بحياته ليرحل الكاتب عن هذا العالم بعد عطاء كبير.

شيعت جنازته بمسقط رأسه ، قرية "تاويرت ميمون" ، ليوارى جثمان الفقيد الثرى هناك فى جو جنائزى رهيب ومشاركة رسمية وشعبية واسعة.

## 2. إنتاجه الأدبى و الأنثروبولوجى

ترك مولود معمرى العديد من المؤلفات و هي نوعان أعمال أدبية و أعمال فى المجال الأنثروبولوجى و الثقافى ومن هذه الأعمال.

<sup>1</sup> - مجموعة من الباحثين، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، ص 36.

أ. في المجال الأدبي

رواية الهضبة المنسية 1952 La Colline Oubliée، إغفاءة العادل 1955، الأفيون و العصا  
La Mort (الموت السخيف للشعب الآزتيك) 1965 L'Opium et Le Bâton، مسرحية  
Le 1973 absurde des Aztèques، موظف البنك 1973، مسرحية المأدبة (الوليمة)  
1973 Banquet "ماشاهو" Machaho و "تالم شاهو" Tellem Chaho و هما مجموعتين من  
الحكايات الشعبية القبائلية للأطفال، صدرتا سنة 1980، عن دار "بورداس"<sup>1</sup>، رواية العبور La  
Traversée التي نشرها عام 1982، مسرحية (ريح الجنوب) 1982، و مجموعة من القصص القصيرة  
بعنوان (توقفات)، أُجمعت بعد وفاته، ونشرت في الجزائر سنة 1996<sup>2</sup>.

ب. في المجال الأنثروبولوجي و اللغوي والثقافي:

Touareg – dialecte de l'ahagar :Lexique Français (قاموس فرنسي – تارقي – لهجة  
الأهقار)، نشره عام 1967 بالتعاون مع الباحث الفرنسي "كورتاد"<sup>3</sup>، قاموس "أماوال" أمازيغي – فرنسي /  
فرنسي – أمازيغي و هو قاموس مزدوج اللغة، صدر سنة 1973 الجزائر<sup>4</sup>.  
Les Isefra. Poèmes de Si Mohand Ou Mohand (أشعار سي محمد أو محمد)، نشره عام  
1969، و هي أشعار الشاعر الأمازيغي "سي محمد أو محمد" بالقبائلية مع ترجمة معانيها

<sup>1</sup> - أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته و تطوره و قضاياها ص 169 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 186.

<sup>3</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ص 417 .

<sup>4</sup> - أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 169.

Tajerrumt n'Tmazight : تاجرومت نتامازيغت ، أجرومية اللغة الأمازيغية أو القواعد النحوية

الأمازيغية نشره عام 1976 عن دار ماسبيرو بباريس (Maspero ; Paris) وهو كتاب يتعلق بقواعد اللغة الأمازيغية من حيث التركيب و الصرف و غيرهما.

Poèmes Kabyles anciens أشعار قبائلية قديمة قيلت في فترة ما قبل الإحتلال الفرنسي، صدرت سنة

1980، L'ahellil du Gourara (أهلليل قورارة) نشره عام 1985 ، وهو جمع لمجموعة كبيرة من

الأشعار والأغاني التي قيلت باللهجات الأمازيغية في الصحراء الجزائرية ،

Précis de Grammaire Berbère (مختصر قواعد اللغة البربرية) صدر سنة 1988 عن مطبوعات "

أوال " أو " الكلمة " ، وهي " دفاتر الدراسات البربرية " التي أسسها مولود معمري بباريس ، وصدر منها عشرة

أعداد في الفترة ما بين 1985-1989<sup>1</sup>، Cheikh Mohand a dit - (قال الشيخ محند) نشره عام

1989، وهو عبارة عن جمع لمأثورات و أقوال و أشعار و أمثال رجل الدين الأمازيغي المنتمي للزاوية الرحمانية

الشيخ محند أولحسين المولود عام 1838 بنواحي عين الحمام بالقبائل الكبرى ، و توفي عام 1901، الثقافة

العلمة و الثقافة المعاشة: Culture Savante ; Culture Vécue نشر عام 1991 بالجزائر بعد وفاة

صاحبه مولود معمري ( فيفري 1989) وهو عبارة عن جمع للمقالات الأدبية ، الثقافية و الأنثروبولوجية التي

نشرها مولود معمري في الصحف والمجلات<sup>2</sup> منذ مقالته الأولى عام 1938 إلى مقالته الأخيرة عام 1989.

حصل معمري في سنة 1988 على جائزة الدكتور " هونور يسكوزا " من جامعة السوربون.

و هكذا و بعد مسار العطاء الطويل هذا أصبح " مولود معمري " أيقونة و رمزا لكل أجيال الثقافة الأمازيغية

التي ترك بصماته عليها واضحة و ذلك من خلال مشاريعه و أعماله الهادفة إلى تجديدها و الحفاظ عليها .

<sup>1</sup> - أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، ص 168 - 169.

<sup>2</sup> - مجموعة من الباحثين، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، ص 34 .



الفهرس

الفهرس

أ..... مقدمة

1 ..... مدخل

الفصل الأول: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

12..... أولا- الرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة الفرنسية

12..... I- الرواية الكولونيلية

19..... II- الرواية الثورية

21..... ثانيا- الرواية الجزائرية المعاصرة المكتوبة بالفرنسية

21..... I- الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيلية ( ما بعد الاستقلال)

22..... II- الرواية الاستعجابية ( رواية الأزمة)

الفصل الثاني: تمظهرات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

24..... أولا- الهوية الوطنية و كتاب الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية

24..... I- مفهوم الهوية و مكوناتها الثقافية

24..... I-1- مفهوم الهوية

24..... I-1-1- المفهوم اللغوي

24..... I-1-2- المفهوم الاصطلاحي

25..... I-2- خصائص الهوية :

25..... | - 3 - المكونات الثقافية للهوية.....

27..... || - تمثلات الهوية الوطنية في الكتابات الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....

28..... || - 1 - مولود فرعون.....

29..... || - 2 - مولود معمري.....

31..... || - 3 - محمد ديب.....

32..... || - 4 - مالك حداد.....

35..... || - 6 - كاتب ياسين.....

35..... || - 7 - آسيا جبار.....

44..... ثانيا - صورة الهوية الوطنية من خلال رباعية "مولود معمري".....

44..... | - مقولة الهوية في رباعية مولود معمري.....

44..... | - 1 - رواية الهضبة المنسية La colline oubliée.....

47..... | - 2 - رواية إغفاءة العادل Le sommeil du juste.....

53..... | - 3 - رواية الأفيون والعصا L'opium et le bâton.....

57..... | - 4 - رواية العبور La traversée.....

78..... || - تشكيلات العناصر السردية داخل الرباعية.....

80..... || - 1 - الشخصيات.....

85..... || - 2 - الزمان والمكان.....

87..... || - 3 - السرد.....

91..... || - 4 - الوصف.....

93..... || - 5 - العنوان.....

96..... خاتمة.....

99..... المصادر و المراجع المعتمدة.....

106..... الملحق.....

تُحْمَتُ بِحَمْدِ اللَّهِ

## المخلص

يدرس هذا البحث تجليات الهوية الوطنية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و قد تضمنت هذه الدراسة جانبين، الأول الجانب النظري الذي يقدم تأطيرا للرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة المكتوبة باللغة الفرنسية، والجانب الآخر الجانب التطبيقي الذي يتناول مقولة الهوية من خلال رباعية الكاتب "مولود معمري": الهضبة المنسية، إغفاءة العادل، الأفيون و العصا ، العبور مع إبراز العناصر السردية و تشكيلاتها داخل الرباعية.

خلص البحث إلى أن ظاهرة الكتابة باللغة الفرنسية ظاهرة أدبية ثقافية مرت منذ نشأتها إلى اليوم بمراحل مختلفة ، اتخذت في كل منها أشكالاً و خصائص شأنها في ذلك شأن أي ظاهرة أدبية و ثقافية و أن الكتابة باللغة الفرنسية كانت عاملاً حاسماً في بلورة الهوية الوطنية في صراعها مع المستعمر الفرنسي من خلال الرعيّل الأول للكتاب الجزائريين الناطقين باللغة الفرنسية ، الذين اقتربوا بأعمالهم الأدبية من الجوهر العميق للهوية الوطنية، فعلى الرغم من اشتغالهم على سجل لغوي فرنسي إلا أنهم لم يكرروا أو يقلدوا الأنموذج الفرنسي بل عبروا عن هموم وطنية ، قومية و إنسانية برؤية تقديمية في شكلها العام .

## الكلمات المفتاحية:

- الرواية الكولونiale.
- الرواية ما بعد الكولونiale.
- الرواية الإستعجالية.
- الهوية الوطنية.
- العناصر السردية .